حرب بني شيبان

مع كسرى أنو شروان



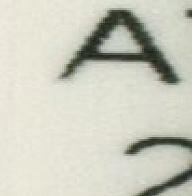
برواية

بشر بن مروان الأسدي

تحقيق

عارف أحمد عبد الغني









حرب بني شيبان
مع كسرى أنو شروان

حرب بني شيبان

مع كسرى أنو شروان

برواية

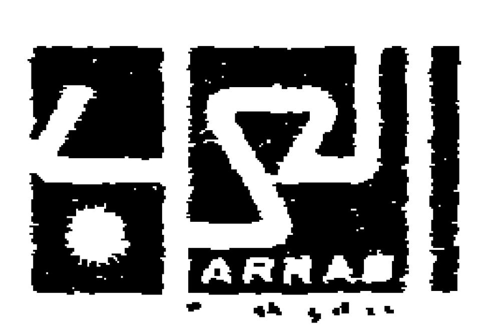
بشر بن مروان الأسدي

تحقيق

عارف أحمد عبد الغني

© جميع الحقوق محفوظة 2014

ISBN 978-9933-480-29-5



دار العراب



دمشق - سوريا - حلبوني الجادة الرئيسية

تلفاكس 00963112247432

جوال 00963933406321

00963940455593

E-MAIL:daralaraab@yahoo.com



دار نور حوران

للدراسات والنشر والترجمة

دمشق - سوريا - ص.ب 5658

هاتف 0096315715430

فاكس 00963157198425

جوال 00963933329555

00963941329555

E-MAIL: NOURPUBLISHING@GMAIL.COM

حرب بني شيبان
مع كسرى أنو شروان

برواية
بشر بن مروان الأسدي

تحقيق

عارف أحمد عبد الغني





دار العراب للدراسات والنشر والترجمة دار نور حوران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

أهداني د. محمد جاسم المشهداني رئيس اتحاد المؤرخين العرب كتاب «حرب بني شيبان مع كسرى أنو شروان» رواية بشر بن مروان الأسدي، وهو عبارة عن مخطوطة نشرها في عام ١٩٨٨ في بغداد.

وقدم للكتاب بمقدمة مركزة من ست صفحات تحدث فيها عن الأيام، والوقائع في التاريخ العربي وشرح معاناته في عدم معرفته لاسم المؤلف الحقيقي للكتاب، وأن الكتاب يندرج في النهاية تحت بند القصص التي لا يمكن أن ترتقي إلى مستوى التأليف التاريخي المنهجي الذي تبلور واستقر فيما بعد.

وقد تصفحت الكتاب فيما بعد قراءة سريعة حيث كان همي الأول البحث على أسماء شعراء جدد أضيفهم إلى موسوعتي التي ستصدر قريباً تحت عنوان «معجم الشعراء في المصادر الأدبية، والتاريخية» حيث عثرت على مجموعة من الشعراء، والشعراء الذين لم يذكروا في غير هذا الكتاب، مما يجعل للكتاب ميزة خاصة، وحوى مجموعات طويلة من الأشعار، والأرجاز التي تتحدث عن حرب بني شيبان دفاعاً عن الحرقة بنت النعمان بن المنذر.

وتلقي أيضاً الضوء على جوانب خفية من معركة ذي قار، والمعارك المحلية غير الفاصلة التي سبقتها.

ويكاد الكتاب ينفرد بهذه الرواية الوحيدة حول معركة ذي قار وما سبقتها وما تلاها، حيث سكتت المصادر الأدبية، والتاريخية عن إعطاء تفاصيل دقيقة عما جرى في تلك المعركة وما سبقها وما تلاها، اللهم إلا ما ذكره الأعشى ميمون بن قيس في وصفه

لتلك المعركة، ولعله كان قد اطلع للتو على المعركة حيث قدم أوصافاً دقيقة أو ما يشبه باللقطات التي تبثها الفضائيات على الأجهزة المرئية والرجوع إلى ديوانه يجد القارئ والباحث مبتغاه.

وعندما تعمقت في قراءة الكتاب وجدته يلامس ما عندي من معلومات كنت قد أدرجتها في كتابي الموسوم (تاريخ الحيرة في الجاهلية، والإسلام)، والذي صدر منذ أكثر من عشرين سنة وبلغت صفحاته أكثر من ثمانمائة صفحة، حيث تتبعت بإسهاب وشمول تاريخ تلك المملكة السياسي، والثقافي، والاجتماعي، والعسكري، والجغرافي.

ولدى فحص الكتاب وجدت فيه الكثير من المغالطات فيما يتعلق بملوك الحيرة، والخلل الواضح في تسلسل أنسابهم،كل ذلك عَزَّز لدى القناعة بأن يعاد تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً يليق به لأنه حوى موروثاً عسكرياً وثقافياً، وتاريخياً نادراً، رغم ما تخلله من هنات ومغالطات قد تكون من النُّسَّاخ وعبثهم وجهلهم.

بالإضافة إلى هذا كله لم يقم د. محمد جاسم المشهداني بوضع فروق نسخ المخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب رغم أنها قليلة جداً، كما أنه لم يقم بضبط الأشعار ولا فهرسة الكتاب الفهرسة التي تليق به، حيث جاء بحوالي مائة وعشرة صفحات.

وساد الكتاب العديد من الأخطاء المطبعية وبعض التصحيفات، والتحريفات كل ذلك عزز لدي القناعة أن يعاد تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً.

وقد فاتحت الدكتور - حفظه الله - بضرورة إعادة تحقيق الكتاب مرة ثانية فأبدى موافقته، وأن يصدر الكتاب مشتركاً، وأن يحمل اسمينا، وهذا ما كان.

وانصب العمل من جديد على تقديم النص مضبوطاً سواء الكتاب، أو الأشعار وفهرسته الفهرسة العلمية التي تليق وإعادة تقويم الخلل الحاصل في أسماء ملوك المناذرة، وتسلسل أنسابهم، ولكن ذلك أحللناه على كتابنا «تاريخ الحيرة في الجاهلية **والإسلام**» حيث فصّلنا ذلك بإسهاب.

بقيت نقطة هامة، وأخيرة من مؤلف الكتاب، وهل الأسماء الواردة في الكتاب لها وجود، حيث فحصناها فحصاً دقيقاً على كتب الأنساب كجمهرة النسب لابن الكلبي، أو جمهرة أنساب العرب، حيث لم نعثر على اسم من هذه الأسماء سوى الحرقة بنت النعمان [1].

لذلك بقيت هذه النقطة أو هذا التساؤل بلا جواب عسى أن تسعفنا المصادر المخبوءة يوماً بمؤلف الكتاب الحقيقي.

راجين أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى، وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على رسوله الأمين محمد (ﷺ)، اللهم آمين.

دمشق

٨/شوال/١٤٣٤هـ - ٢٠١٣/٨/١٥م

عارف أحمد عبد الغني

---

(١) انظر أخبارها في: مروج الذهب ١٠٧١، ١٧٠٢، ١٨٢١، ١٨٢٢، حماسة أبي تمام ٢/ ٤٧، شعراء النصرانية ٢/ ٢٠، الأغاني ٢/ ١١، خزانة الأدب ٣/ ١٨٢ ط بولاق، حرب بني شيبان مع بني أنو شروان الكتاب الذي طبع في بومباي سنة ١٣٠٥ هـ، البكري ٣٦٢، الأغاني ١٦/ ٧٤، الكامل للمبرد ٤٠٩، المحاسن، والأضداد ١٧٥، محاضرات الأبرار لابن العربي ١/ ١٤٢، محاضرات الأبرار ٢/ ٣٥٢، الأغاني ٢٣/ ٢٧٧، وانظر فهارس الطبري حيث روى لقاء هامع المغيرة بن شعبة، وورد أنه تزوجها عدي بن زيد الشاعر، وكان ذلك سبب قتله من قبل النعمان، وانظر فهارس مروج الذهب ٦/ ٢٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

يدخل تنظيم الكتاب ضمن الكتب المصنفة في سياق قصص الأيام التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، والتي استمرت فيما بعد في العصور العربية الإسلامية، ويُعَدُّ هذا النوع من الكتابات شبه التاريخية، عربي الأصل، والمنشأ، وأصبح فيما بعد جزءاً من الأخبار التاريخية لذلك قال حاجي خليفة: «عِلمُ أيام العرب هو عِلمٌ يبحث عن الوقائع العظيمة، والأحوال الشديدة بين قبائل العرب...، والعلم المذكور ينبغي أن يُجْعَلَ فرعاً من فروع التواريخ[1]».

إلا أن قصص الأيام لا يمكن أن ترتقي إلى مستوى التأليف التاريخي المنهجي الذي تبلور واستقر فيما بعد، وتعددت أصنافه، وأغراضه، والذي يخضع لقواعد منهجية متعارف عليها عند المحدّثين، والمؤرخين معاً. ذلك لأن ما يميّز قصص الأيام أنّ أسلوبها قصصي يجمع بين النثر، والشعر الذي يُعَدًّ الوثيقة التي تصحح القصة.

وقد تأثر أسلوبها إلى حدٍّ ما بالعواطف القبلية، والاجتماعية، والتي كان لها أثرها في المجتمع القبلي قبل الإسلام، لذلك كانت قصص الأيام تلقي عناية خاصة في المجالس القبلية، والمجتمع عموماً، فكان لكل قبيلة قصاصون يجمعون أخبارها، وقصصها، ووقائعها، وأحداثها، وأمجادها، فهي إرث مشترك لكل قبيلة يعكس صورة عن واقع القبيلة بكل ما يحويه من أسلوب حياتهم، وشأنهم في الحرب، والسلم، والوحدة، والفرقة، والفداء، والأسر، والاستقرار، والتجوال، كما تبين فضائلهم وشمائلهم وعلاقاتهم فيما بينهم وبين بقية القبائل العربية، وبينهم وبين الأمم الأُخرى أحياناً،

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب، والفنون ج ١ (استانبول، ١٩٤١) ص ٢٠٤، والدكتور عبد ..... بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت، ١٩٦٠) ص ١٧.

فالأيام تصور حياة الأمة العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وكانت القصص تعتمد أسلوب الرواية الشفوية الذي كان سائداً بين العرب قبل الإسلام، حيث تتناقل الرواية من جيل لآخر بين أبناء القبيلة، واستمر هذا الأسلوب حتى بعد ظهور الإسلام، وخاصة في القرن الثاني الهجري، عندما تبلور واستقر التدوين التاريخي، حيث جمعت الروايات القبلية وصنفت في الأمصار الإسلامية الجديدة التي كانت قد تأثرت في تخطيطها، وتنظيمها بالتنظيمات القبلية، وأثرت بدورها على البدايات الأولى لنشأة علم التاريخ عند العرب، الذي نحا منحى قبلياً في مدرستي البصرة، والكوفة التاريخيتين، فبرزت كلتاهما بتدوين تاريخ الأنساب العربية، وبرع النسابون، والمؤرخون في ذلك، وقد ظل الاتجاه القبلي في كتابة التاريخ ظاهراً، إلى أن جاء التأثير الإسلامي لمدرسة المدينة المنورة التاريخية التي أثرت في أصناف التدوين التاريخي في العراق.

ولذلك نجد اهتمام أوائل المؤرخين العرب بالكتابة في أيام العرب، وخاصة هشام ابن محمد بن السائب الكلبي الكوفي (ت ٢٠٤هـ) الذي قال عنه ابن النديم أنه: «عالم بالنسب، وأخبار العرب، وأيامها...[1]»، وألف عدة كتب في أيام العرب منها[2]:

١- كتاب أيام فزارة ووقائع بني شيبان.

٢- كتاب وقائع الضِّباب وفزارة.

٣- كتاب أيام الكلاب وهو يوم النشاش.

٤- كتاب أيام بني حنيفة.

٥- كتاب أيام قيس بن ثعلبة.

٦- كتاب يوم سنيف.

٧- كتاب الأيام.

---

(١) ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد (طبعة، ١٩٧١) ١٠٨.

(٢) نفسه، ١١٠.

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت ٢١٠هـ) فأنه صنف عدة مؤلفات في أيام القبائل، وأخبارها منها[1]:

١- كتاب أيام بني بشكر، وأخبارهم.

٢- كتاب أيام بني مازن، وأخبارهم.

٣- كتاب الأيام ويحتوي فيما يروى على خمسٍ وسبعين يوماً.

وكتب أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي[2].

١- كتاب أيام جرير التي ذكرها في شعره.

٢- كتاب القبائل الكبير، والأيام.

أما فيما يتعلق بمخطوطة «كتاب حرب بني شيبان مع كسرى أنو شروان» فأنه يبدأ برواية بشر بن مروان الأسدي ويلاحظ من سياق المخطوط أنه هو المؤلف الحقيقي الذي اعتمدت رواية الكتاب عليه، إلا أن مما يؤسف عليه أننا لم نجد ترجمة لهذا الراوي بعد رجوعنا إلى كتب الرجال، وكتب الجرح، والتعديل، وقد وقفنا على ترجمة بشر بن موسى الأسدي البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨هـ[3].

إلا أننا لم نهتد إلى معرفة احتمال تحريف «موسى» إلى «مروان» لأننا لم نعرف ولم نقف على ترجمة شيوخ بشر بن مروان الأسدي الذين وردت أسماء بعضهم في المخطوط، كما أننا لما قارناهم بأسماء شيوخ بشر بن موسى الأسدي لم نجد أيّ تطابق بين أسماء أيٍ منهم، إضافة إلى ذلك أن شيوخ بشر بن مروان الأسدي الذين ورد ذكرهم في المخطوط لا تتعدى خمسة أسماء فقط، الأمر الذي لا يلقى لنا ضوءاً واضحاً على إمكانية احتمال روايته على شيوخ آخرين قد نستطيع من خلالهم التعرف على شخصية بشر بن مروان الأسدي، ويبدو أن رواياته كانت مقتصرة عليهم، وكان يوثقهم إلى حدٍ كبير فيقول في

---

(١) نفسه، ٥٩، ٦٠.

(٢) نفسه، ١١٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧ (القاهرة، ١٣٤٩هـ) ص ٨٦.

أحدى رواياته: «وكل من لا يروي السيرة ولا يستند إلى العلماء الثلاثة وهم أخطب بن يوشع، وسعيد بن ربيعة، وعبد الواحد بن إلياس التميمي غير عارف مُخْطِئ...[1]»، ومن شيوخه الذين روى عنهم عبد الله بن صبيح الكلابي عن ذؤيب بن نافع الحنفي»، وفي نص يروي بشر عن ذؤيب بن نافع الحنفي مباشرة وبعد رجوعنا إلى كتب الرجال، وكتب الجرح، والتعديل لم نقف على ترجمة أيّ منهم، ولذلك فأننا لم نستطيع أن نجزم من هو المؤلف الحقيقي للمخطوط وعسى أن يهتدي إلى التعرف عليه مستقبلاً.

أن رواة قصص الأيام قد تأثروا بالأساليب الأدبية، والتاريخية التي تبلورت في القرن الثاني الهجري، إضافة إلى تأثرها بالأسلوب القرآني، فقد وردَ في ثنايا المخطوط ما نصه:

... فحمل برجاله وبعده أبوه وفرسان قومه المعدودة في الكتائب وقومهم من بعدهم، ورفع الخلاف، ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾[2] كما يلاحظ استخدام ألفاظ المحدثين، والمؤرخين في تحمل الرواية مثل «حدثني» و «حدثنا» و «قال». كما أنه ينتقد بعض الروايات التاريخية، عندما اتهم بعض الرواة بقوله: «وقوم مبدعون مزورون جاهلون» وقوله: «والقول الصادق، والدليل الواضح هو...[3]». ويضعّف بعض الروايات بقوله: «فزعم الثقاة من أهل هذه السيرة...[4]».

ما لاحظنا في المخطوط قوة الأسلوب الأدبي الذي دوّنت فيه، وكثرة إيراد الشعر الذي يُعّدَ ميزة لتداول الروايات الشفوية، حيث يتخلل القصة خاصة، وأن قسماً من الشعراء كانوا من المشاركين بأحداثها، الأمر الذي يعطي للمخطوطة حيويةً أكثر، وتأثيراً أشد.

كما أنها تحتوي على معلومات تاريخية واسعة عن الشجاعة، والبطولة العربية، وتعَدّ

---

(١) المخطوطة ورقة ٢ ب نسخة المكتبة القادرية.

(٢) سورة القيامة، آية ٢٩، انظر المخطوط ورقة ٣١ ب النسخة القادرية.

(٣) انظر المخطوط، ورقة ٢ ب (النسخة القادرية).

(٤) نفسه، ورقة ١٨ ب.

جزءاً من الأخبار التاريخية لتاريخ القبائل العربية في العراق، إضافة إلى احتوائها على معلومات مهمة عن التنظيمات العسكرية التي كانت تعتمدها القبائل العربية في العراق في حروبها ضد أعدائها.

وتبين لنا المخطوطة أن قص الأيام التي كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام قد استمرت بعد ظهوره، وخاصة بعد تبلور التدوين التاريخي، وتعدد أنواعه، ويبدو أن استمرار هذا النوع من القصص التاريخي وهذه المخطوطة كان بتأثير الحركة الشعوبية التي حاولت أن تتفاخر بأمجاد فارس، وبطولتهم الرائعة، الأمر الذي لم يكن يرضي رواد الحركة الشعوبية، خاصة، وقد أكدت المخطوطة على دور القبائل العربية وخاصة بنو شيبان الذين تزعمّوا بشرف القبائل العربية في حروبها ضد الفُرس، التي توجت بالانتصار العظيم في معركة ذي قار الحاسمة ضد الفُرس، ذلك الانتصار الذي كان له وقع في نفوس العرب، لا في العراق وحده وإنما دوّى صداه في جميع جزيرة العرب، وهي من الوقائع الفاصلة في تاريخ الجزيرة كان لها أثرها حتى على حركة الفتح العربي الإسلامي للعراق.

ويبدو أن يوم ذي قار لم يكن يوماً واحداً، أو معركة واحدة وقعت في ذي قار وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفُرس، بل هو جملة معارك وقعت قبلها، ثم ختمت بذي قار، حيث كانت المعركة الفاصلة فَنُسبت المعارك من ثم إلى هذا المكان، ومن هذه الأيام، يوم قراقر، ويوم الحِنْو حِنْو ذي قار، ويوم قُراقِر، ويوم الجُبايات، ويوم ذي العُجرْم، ويوم الغذوان، ويوم البطحاء، بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار، ولذلك نجد أن المخطوطة تحتوي خمسة وقائع كبرى بين العرب، والفُرس كانت الخامسة واقعة ذي قار الفاصلة[1].

أن النصر العربي الكبير الذي تحقق في ذي قار فلم يكن مصادفة، وإنما كان امتداداً تاريخياً لجملة من الانتصارات التي حققتها القبائل العربية في مدينة الحيرة العراقية عندما حقق

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١ (القاهرة، ١٩٨٠) ١٩٣.

المناذرة الذين كانوا يحكمون فيها، عدة انتصارات متواصلة على الإمبراطورية الرومانية في أوج عنفوانها وقوتها، فقد تمكن ملك الحيرة امرؤ القيس بن جذيمة الأبرش من بسط نفوذه على بلاد الشام واعترف به الروم ملكاً على عرب بلاد الشام.

وكان النعمان بن امرئ القيس رجُلاً شجاعاً هاجم الدولة الرومانية مراراً، فسبى وغنم منهم، واستطاع الأسود بن المنذر من الانتصار على الغساسنة في بلاد الشام، وتمكن ملك الحيرة عمرو بن هِنْد من مَدّ نفوذه من عمّان الشام إلى ملح في اليمامة، وغزا بني تغلب، وطيئاً، وبني دارم، وأغار على دولة الدولة الرومانية في الشام سنة ٥٦٣م، ٥٦٦م. وهاجم قابوس بن المنذر الإمبراطورية الرومانية في الشام ووصل إلى مدينة أنطاكية[١].

من هذا يتبين لنا أن عرب الحيرة كان لهم شأن كبير، ونفوذ واسع لا كما يتصور ويروج البعض من أنهم كانوا عُمالاً لملوك فارس، بل كان لهم وزنهم في العراق، وفي المنطقة ولهم أثرهم الواضح في صُنع أحداثها، حتى أن الفرس كانوا في بعض الأحيان يستعينون بهم ويستنجدون بهم لترجيح ميزان القوى في داخل بلاد فارس، كما حصل للمنذر بن النعمان الذي أعادَ بهرام حور ملكاً على إيران بعد أن أبعده الفرس من منصبه.

كانت الإمبراطورية الفارسية تدرك قوة المناذرة ولم تجرب حظها في صراعها معهم، فآثرت إقامة العلاقات الحسنة معهم، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يحاولون القضاء عليهم، وإلحاقهم تبعاً لبلاد فارس، لذلك تشير المصادر إلى أنهم أسّروا الأسود بن المنذر ملك الحيرة ومات سنة ٤٩٤م، ومن ثم غدروا بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة وبأبنائه، وسجنوه مع أبنائه وقضوا على الحكم العربي في الحيرة، ظناً منهم بأن هذا العمل سيقضي على روح القوة العربية في العراق، غير أنهم فوجئوا في واقعة ذي قار التي أذهلتهم، وأسقطت حساباتهم.

لقد اعتمدتُ في تحقيق هٰذا الكتاب على عدة نسخ، كان أهمها:

---

(١) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣ (بيروت، ١٩٦٩) ١٩١، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٧٢.

نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (٢٧٨٧٠/ ٤ تأريخ)، وعدد أوراقها (٩١ ورقة) ومسطرتها (٢٥) سطراً، وفي كل سطر ما بين (٩-١٢) كلمة وخطها عادي، وقد اعتبرناها الأصل الذي أخذت عنه بقية النسخ الأخرى لقدم نسخها، وصحّة معلوماتها، ولذلك اعتمدناها النسخة الأولى للكتاب.

وتحمل النسخة عنوان «حرب بني شيبان» وجاءَ في آخر النسخة، وهي آخر الورقة (٩١) من الأصل ما نصه «تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه سنة ١٢١١هـ».

وتمتاز هذه النسخة بوضوح الخط، وضبط الكلمات وخاصة أبيات الشعر، إضافة إلى كثرة الحواشي، والتعليقات، والشروحات التي كتبها أحد مالكي هذهِ النسخة.

أما النسخة الثانية، فهي نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (١٤٥٩٧/ ٤ تاريخ)، وعدد أوراقها (٣٥ ورقة) ومسطرتها (٢١) سطراً، وفي كل سطر ما بين (١٠-١٤) كلمة.

ومما يلاحظ أن النسخة جيدة الخط، وقد أشكلت كلماتها، وكان ناسخها دقيقاً إلى حدٍ ما، وتكاد تكون هذهِ النسخة قد نسخت بدقة عن النسخة الأولى، وتحمل عنوان «خبَرُ الحرقةِ ابنة النعمان واستجارتها ببني شيبان»، وقد نسخت ببغداد في الرابع من رجب سنة ١٢١٣هـ.

أما النسخة الثالثة، فهي نسخة المكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١) وعدد أوراقها (٤٩) ورقة ومسطرتها (١٩) سطر، وفي كل سطر ما بين (١٠-١٥) كلمة وخطها نسخ معتاد، وتحمل عنوان «حرب بني شيبان مع كسرى أنوشروان حين أجاروا عليه حرقة ابنة النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب».

وجاءَ في آخر النسخة وهي الورقة (٤٩أ) من الأصل ما نصه: «تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب على يد الحقير الفقير المعترف بالذنب، والتقصير على يد الحقير الفقير محمد أمين بن مصطفى في الثامن عشر من شهر رجب الأصم سنة ١٢٢٢هـ».

ومما يلاحظ أن النسخة خطها عادي، ويبدو أنها نسخت عن النسخة الأولى، وفيها بعض الأوراق التي أصابتها الرطوبة لذلك كانت غير واضحة.

أما النسخة الرابعة، فهي نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (١١٣٢٧تاريخ) وعدد أوراقها (١٢٥) ورقة، ومسطرتها (١٩) سطر، وفي كل سطر ما بين (٧-٩) كلمة.

ويلاحظ أن النسخة كتبت بخط نسخ رائع جداً، وكان ناسخها دقيقاً في نسخه لها، وتكاد تكون هذهِ النسخة كبقية النسختين الثانية، والثالثة قد نسخت عن الأصل.

وتحمل النسخة عنوان «حرب بني شيبان وكسرى من جل إجارتهم للحرقة ابنة النعمان بن المنذر»، وجاء في آخر النسخة وهي آخر الورقة (١٢٥) من الأصل ما نصه: «تم حرب بني شيبان بقلم الفقير إلى الله عز شأنه عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي في ٢٠ شوال سنة ١٣٥٥هـ».

لقد اعتمدنا في تحقيق المخطوط على عدد من المصادر التاريخية التي تناولت واقعة ذي قار، والتي استعنا بها في توضيح بعض الغموض وحل بعض الإشكالات في سياق العرض التاريخي للمعلومات التي وردت في المخطوط، كما أننا رجعنا إلى عدد من كتب اللغة لتوضيح، وتفسير بعض الكلمات وبعض الألفاظ العربية البليغة خاصة تلك التي وردت في الشعر.

ومما تجدر الإشارة إليه هو ورود بعض الأخطاء التاريخية في المخطوط خصوصاً الخطأ الذي كان يتكرر دائماً وهو اعتبار «دمشق» عاصمة لدولة المناذرة، في حين أن الصواب هو «الحيرة»، ويبدو أن هذا الخطأ التاريخي قد وقع من قبل الناسخ الذي لم يكن مطلعاً دور في الأحداث لم نجد لها ذكراً في المصادر التاريخية الأخرى، وقد ثبتنا في الهوامش.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا المخطوط ليجد له مكاناً في المكتبة العربية، والله من وراء القصد.

بغداد المحروسة سنة ١٩٨٧/١/٢٤م — الدكتور

١٤٠٧/٥/٢٤هـ — محمد جاسم حمادي المشهداني

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا بشر بن مروان الاسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي قال

كان النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملكا من ملوك العجم وكانت

بينه موصولة بيدي الدهقين كسرى وكان عسكر كسرى مائة

الف وكان النعمان بن المنذر على خدمته وبه استقوى بملكه و

سلطانه وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين

وكان عمره اربعمائة سنة وخمسا وتسعين سنة غير ما تقدم

وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك العجم في سلطنته

وكان كثيرا المواهب جزيل المطالب والرغائب يرفد الوفود

ويولف الجنود عطاؤه جزل ونفعه [illegible] وقد ذكرته

العرب باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وتشهد

له بذلك ومنه قول شبيب بن عامر [illegible]

اذا الملك العجمي لم يعط المجد فدع بعده ذكر الملوك الافاضل

لان ابن ماء المزن اوسعهم جدا

واسفرهم وجها الى كل نائل

وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمان افعال فاضل تقابها [illegible] الملوك وانجدا

فضائل كانت في ابيه وجده

فقد كان فيهم مطرفا ثم متلدا

والله [illegible]

الورقة الاولى من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٢٧٨٧٠/٤ تاريخ.

بالرواح ثم ان المنذر بن الريان استقام ملكه وقوي سلط
واتسقت احواله بدمشق وحسنته لا يسبق بامله وبالعرب
حنكات ونفعتهم ونحن اليهم علم يزل كذلك حتى
توسم موسم عكاظ هو وشهاب بن ثورة وابو حداية وعمرو بن
ثعلبة وواجهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
بعد بيعة النفر السبعة فضمن بذلك سرورا كثيرا وايقن
بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم قال صاحب الحديث
فتوفي شهاب بن ثورة وابن عمه ابو حداية آخر عامهما ذلك
قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة واما الملك المنذر
ابن الريان فانه ادرك الاسلام وهاجر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم بدر
وقتل يوم احد بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع
عمه حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه
تم الكتاب بعون
الله وحسن
توفيقه

[illegible]

[illegible]

١٨ الورقة الاخيرة من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٢٧٨٧٠/٤ تاريخ .



خبر الحرقة ابنة النعمان واستجارتها ببني شيبان

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا بشر بن مروان الاسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي
قال كان النعمن بن المنذر بن ماء السماء ملكاً من ملوك لخم
وكانت يده موصولة بيد ذي الداهيتين كسرى وكان عسكر كسرى
مائتي الف وكان النعمان بن المنذر على خدمته وبه استقوى ملكه
وسلطانه وكان النعمن بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين وكان
عمره اربعماية سنة وخمساً وسبعين سنة غير ما تقدم وكان
النعمن بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته
وكان كثير المواهب جزيل المطالب والرغايب يرفد الوفود ويولف
الجنود عطاؤه جزل وفعاله عدل وقد ذكرته العرب
باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وشهدت له بذلك
ومنه قول شبيب بن عامر اللخمي

اذا الملك اللخمي لم تعف الجدا ... فدع بعده ذكر الملوك الافاضل
[illegible]

وقد ذكره مالك ابن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمن افعال فاضل ... تعالى بها سمك الملوك والمجدا
فعالاً كانت في ابيه وجده ... فقد كان فيهم مطرفاً ثم متلدا

ولغيرهم اكثر من ذلك حدثنا ذويب بن نافع الحنفي وكان من رواة

الورقة الأولى من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٤/١٤٥٩٧ تاريخ .

بني ماء السماء فشكروا له ذلك ثم ان الرجلين اسرجا خيولهم
وركبا معه في ثمانين ألف فارس بالآلة التي كانوا فيها بالحروب وقد خلوا به
وبعرهسه الى دمشق فخرج جنود الملك كثير والتقوا الملك المنذر بن
الريان بسيروا معه فلم يجدوا اليه سبيلا وراوا خيولا غير خيولهم
وسلاحا غير سلاحهم فيها لهم ذلك فلما راوا مع الملك وتقدمه
عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة وقومهم حتى ادخلوا المنذر بن الريان
داره وكان اراد تقديمهم فلزم شهاب على يد الملك المنذر بن الريان
وقال له ليس هذا اوان ذلك حتى نمكن في ملكك وتستقيم
في سلطانك قال فاذن لهم المنذر بن الريان بالرواح ثم ان
المنذر بن الريان استقام في ملكه وقوى سلطانه واتسعت
احواله بدمشق وحسنت ولايته بقبايله وبالعرب حيث كانت
ورغد وفودهم واحسن اليهم ولم يزل كذلك حتى نوشم موسم عكاظ
هو وشهاب بن نويرة وابو حداية وعمرو بن ثعلبة ولحقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه بعد بيعة النفر الاربعة فسر
بذلك سرورا كثيرا ودعى بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم
قال صاحب الحديث فتوفي شهاب بن نويرة وابن عمه ابو حدايه
آخر عامهما ذلك قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة
واما الملك المنذر بن الريان فانه ادرك الاسلام وهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم بدر وقتل يوم احد
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

الورقة الاخيرة من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٤/١٤٥٩٧ تاريخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال صاحب الكتاب حدثنا بشر بن مروان الاسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي قال كان النعمان بن المنذر بن ماء السما ملكا من ملوك لخم وكانت يده موصولة بيد ذي الداهيتين كسرى وكان عسكر كسرى ما يجوز الف وكان النعمان بن المنذر على حذ منه وبه استقوى ملكه وسلطانه وكان النعمان بن المنذر بن ماء السما من الحميريين وكان عمره اربعا وتسعين سنه وخمسا وتسعين سنة غير ما تقدم وكان النعمان بن المنذر بن ماء السما اكرم ملوك لخم في سلطنته وكان كثير المواهب جزيل المطالب والرغائب يرفد الوفود ويولي الجنود عطاءه جزل وفعاله عدل وقد ذكرته العرب باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وشهدت لهم بذلك ومنه قول شبيب بن عامر اللخمي

اذا الملك اللخمي لم يعف للجدى • فنح بعده ذكر الملوك الافاضل

لان ابن ماء المزن اوسعهم جدى • واسفرهم وجها لدى كل نائل

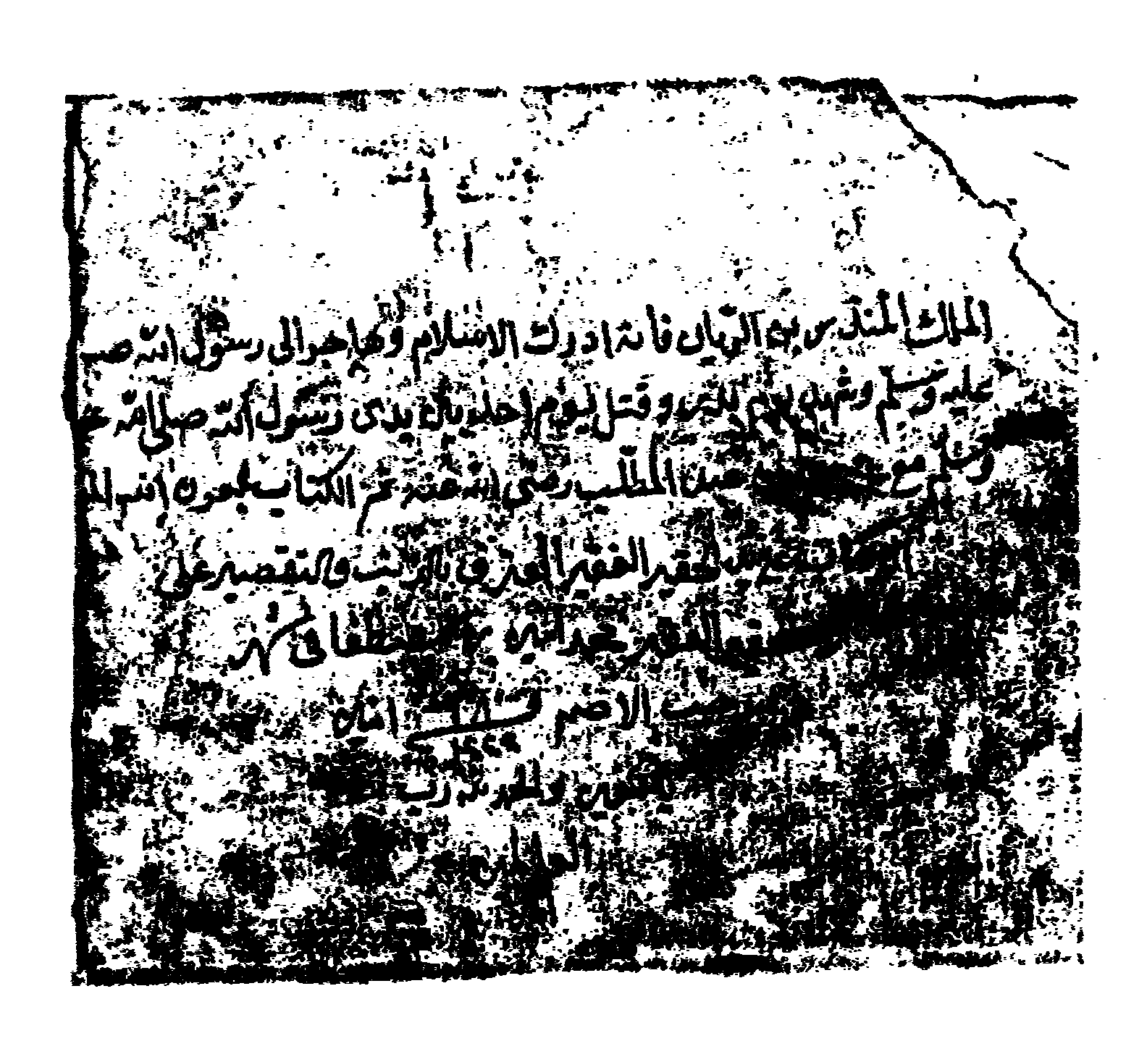
وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمان افعال فاضل • تعالى بها سمك الملوك واعتلا

فضائل كانت في بنيه وجده • فقد كان فيهم مطرقا لهم مثل ماء

ولغيرهم اكثر من ذلك حدثنا ذويب بن نافع الحنيفي وكان من رواة عبد الواحد بن الياسي التميمي قال وكان النعمان اذ ملح كثيرة من العرب واليهود والفرس وكانوا اخص ما يكون عنده الحيا نز ابنته زهير بن جذيمة العبسية

الورقة الاولى من نسخة المكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١).



الملك المنذر بن النعمان فانه ادرك الاسلام وهاجر الى رسول الله صلى
عليه وسلم وشهد [illegible] وقتل يوم احد [illegible] بين يدي رسول الله صلى الله ع
وسلم مع حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه تم الكتاب بعون الله
[illegible] الفقير [illegible] والتقصير على

الورقة الاخيرة من نسخة المكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١).

بسم الله الرحمن الرحيم

النص المحقق

حَدَّثَنا بِشُر بن مَرْوان ألأسدي، حَدَّثنا ذُوَيب بنُ نافع التَّميمي قال: كان النُعْمانُ بن المنذر بن مآء السمّا ملكاً من ملوك لَخم، وكانت يَدُهُ موصولةً بيدِ الدَّاهِيَتَينِ كِسْرى، وكان عسكُر كِسْرى مائتي ألف.

وكان النعمان بن المنذر بن المنذر بن (ماء السماء) (بن امرئ القيس بن النعمان الأعور بن امرئ القيس بن عمر بن امرئ القيس بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث اللخمي[1]) ، على خدمته وبه اسَتقوى مُلكُه وسلَطانه، وكان النّعمان بن المنذر بن ماء السماء من المُعَمرين، وكان عُمْرُه أربعمائة سنة وخمساً، وتسعين سنة غير ما تقدم.

وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء أكرم ملوك لخم في سلطنته، وكان كثيرَ المواهب جزيلَ المطالب، والرغائِب يُرْفِدُ الوُّفُود ويُؤُلفُ الجنودَ، عَطاؤه جَزْل، وفعالُهُ عدل، وقد ذكَرتُه العربُ بأشْعارها من الحيّين قاطبة عدنان وقحطان وشهدَتْ لَهُ بذلك، ومنه قول شبيب بن عامر اللِخميّ [الطويل].

إذا المَلَكُ أَللخميُ لم يُعْفِ للجدا	فَدَعْ بعدهُ ذِكْرَ الملوك الأفاضِلِ
لأنّ ابْنَ ماء المُزْن أوْسَعُهُمْ جداً	وأسفرهم وجهاً لدى كُلِّ نائِلِ

---

(١) مابين حاصرتين زيادة عن الأصل لتوضيح سلسلة نسبه، وأخباره في تاريخ الطبري ٢/ ٢١٣، المناقب المزيدية ١٤٤، نشوة الطرب ١٤٥ وما بعدهاوانظر الفهارس الكامل في التاريخ ١/ ٢٨٥، ديوان الاعشى ٣١٥، ديوان عدي بن زيد ٣٩، الاغاني ٢/ ١٠٨، تجارب الامم ١/ ١٣٣، نوادر المخطوطات رسالة بن من ص ٣١٩، ديوان لبيد ٢٦٩، العقد الفريد ٦/ ١٠ - ٤٦، ذيل الامالي ١٨٥، تاريخ حمزة ٧٤، المفصل في تاريخ العرب جواد علي ٣/ ٢٦١، تاريخ الحيرة في الجاهلية ٢١٠ - ٢١٤، حيث تفصيل أمره وحياته السياسية.

وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال: [الطويل]

أتـاني عـن الـنعمانِ أَفْعَـالُ فَاضِـلٍ تَعَـالى بهـا سَـمْتُ الملـوك وأَنَجـدا

فَضَـائِلُ كَانَـتْ في أَبِيْـهِ وَجَـدّهِ فَقَـدْ كـان فِيْهم مُطْرَفـاً ثـمّ مُتْلِـدا

ولغيرهم أكثر من ذلِك، حدثنا ذؤيب بن نافع الحنفي، كان من رواة عبد الواحد بن إلياس التميمي قال، وكان للنعمان أزواج كثيرة من العرب، واليهود، والفرس، وكان أخَصّ من تكون عنده الجمانة ابنة زهير بن جُذيمة العبسية لمكان أبيهاَ وشرفه في قومه، وكان أحب نسائِه المتجردة[1] اليهودية لحسن التبّعل لزوجها ولحسنها وجمالها، وكان كثير الانقطاع في حُبّها، وقد ذكرها النابغة الذبياني في شعره فقالَ[2] [الكامل]

لـو أنهـا عَرَضَـتْ لأشْـمطَ راَهـبٍ عَبَـدَ الإلـهَ ضَرُوْرَةَ مُتَعَبّـدِ

لَصَـبَا لِبَهْجتهـا وَحُسْـنِ حَـدِيْثِهَا وَلَخَالَـهَ رُشْـداً وإنْ لم يَرْشُـدِ

تَسَـعُ الـبِلادَ إذا أتيتُـكَ زائِـراً وإذا هَجَرْتُـكِ ضَـاقَ عَنّـي مَرقَـدي

حدثنا رُواة هذه السيرة أن الحَرَقَة[3] سمّتها أمها المُتجَّردِة بذلك، وأنها أقامت عند النعمان تحمل وقتاً من زمانها، ثم حملت له بالحَرَقة ولا خلاف بين العلماء الثلاثة في ذلك أن المتجردة كانت عقيماً، وأنها ما جاءت بفاحشةٍ أبداً وإنما رَوي في ذلك قوم آخرون ليسوا من رواة هذهِ السيرة، ولا مَعْرُوفين بالأثر، وكلّ مَن لاَيروى السيرةَ ولا يُسْنِدُ إلى العلماء الثلاثة وهم أَحَطَب بن يوشع وسعيد بن ربيعة، وعبد الواحد بن إلياس

---

(١) هي هند بنت زهير بن جديمة العبسي وأغلب الروايات أنها كلبية وقد تزوجها عدة رجال قبل النعمان، المحبر ٤٣٧، ديوان النابغة ١٨٥، جمهرة أنساب العرب ٢٨٩، نهاية الأرب ١٥/ ٥٤، الأغاني ٢٣/ ١، مسالك الابصار ١/ ٣٢٢، رسالة الغفران ١٩٦، تاج العروس (جلم) مجلة لغة العرب ٤/ ١٢٣، النقائض ٣٠٤، يوم سفوان، المناقب المزيدية ١٤٧، تاريخ الحيرة ص ٥٠٧ .

(٢) ديوان النابغة ص...

(٣) ورد في معظم المصادر هي هند بنت النعمان بن المنذر، الاغاني ٢٤/ ٦٣، تاريخ الطبري ٦/ ٢٢، المناقب المزيدية ٤١١، المؤتلف، والمختلف ١٨٥، خزانة الادب ٧/ ٦٧، مروج الذهب ٢/ ١٠٢.

التميمي، غير عارف مُخْطيء، والذين رموا المتجردة بالشاعر المنخل قوم مبتدعون مزوّرون جاهلون وهم الذين جعلوا أن الحَرَقَة ليست للنعمان ابن المنذر، وإنما هَي للمنخل سِفاحاً، وقوم آخرون جاهلون يقولون، إنَّ الحرقة للجُمانة ابنة زهير.

والجُمانَة كانت عقيماً معروفة بذلك، والقول الصادق، والدليل الواضح أنها لو كانت للجُمانة لأجارَتها مُضر، وأجمعت معها ربيعة حدثنا رواة هذه السيرة إنها سمَّتها أمّها المتجردّة باسم أُمّها الحرقة، وهو اسم مشهور في نساء اليهود، وأنها نشأت أكرم منشأ بنات الملوك في صورة أمّها وحُسنها وجَمالها لم تأخذ من صفات أبيها شيئاً فبلغ إلى كسرى ما فيها من الجمال، والحُسنْ، والكمال، ثم أثنى المخبرُونَ على أمّها بما فيها من الحُسْن، والتَّبَعُّل لزوجها فاشتاق الملك إلى تزوّجها أشَدَّ الاشتياق فَوَجَّهَ على النعمان أَنْ يَصِلَ إليه فوَصَل وهو لا يَعْلَمُ ما في قلبه.

فلما قدم على المَلك استأذَنَ عليه بالدّخول فأذن له واستقبله المَلكُ بأحسن القَبُول وجَلَسَ بين يديه ساعة مليّة، ثم أمَرَ به إلى منزل ضيافته فَقِدم إليه فأقام فيه شهراً وهو يُصبحُ على الملك ويمسي، ولم يخاطَبهُ بشيء ولاَ عِلمَ بحاجةِ كَسْرى فلمّا رأى ذلك كَبُرتْ حيلَتُهُ وعَمِيَتُ بصيرّتُهُ ولم تكن تلك عادته فلما كان بعد تمام الشهر خطب ترجمُان الملك إلى النعمان ابنته الحرقة فَعَظُم عليه الأمر وقال لا اَعْصي المَلِكُ بل أنا طَوْعُ يده، قيل له اشَترِطْ وخُذِ الرُّسلَ، والحمائِل لتنزَّف إليه الحرقة.

قال النعمان للملك عليّ من الأيادي، والمن ما لا أحْوَجَهُ على شيء من ذلِك فإذا صارت عنده فَهوَ أولى بإصلاح شأنها فشكر الملك له ذلك فودعه النّعمان وانَصرفَ ومعه هَمٌّ وغَمٌّ ولا يقدِر يدفعه فلما صارَ في بعض الطريق أنشأ يقول:[الطويل]

أَتتنـي أُمُـورٌ لا تُطَـاقُ عَظِيْمَـةٌ ... وَأَصْـبَحَ لي كسَرى عَليهـا مُنَاوِيَـا
فَـإِنْ آتِ مَحْبُـوبَ الأَعَـاجِمِ طَائِعَـاً ... تَكُـنْ سُـبَّةٌ في لَحْـمِ تُبْكِـي البَوَاكِيَـا
وَإِنْ رُمْـتُ أنبـو لم تَسَـعْني عَزيمتـي ... نَعَـمْ وَحَلَبَـتْ الآنَ فِيْنَـا الـدَّوَاهِيَا

فـلا يَغْـرُبٌ أَدْعُـو لَهَـا فتُجيبني إلى جُنْـدِ كِسْرَى يَكْشِـفُونَ عَنَائِيَـا

فَيَالَيْـتَ شِـعْري كَيْـفَ في ذَاكَ حِيْلَتـي إذا كُنْـتُ لا أَرْجُـو لديـهِ المواليـا

ألا لَيْـتَ أَسْـبَابَ المنِيَّـةِ عِقْنَنـي وغطينَنـي تَسْـفِي عَـليَّ السَّـوافيا

ولم أَضْـحُ في أعـراضِ كِسْرَى بمثلهـا وَيَغْـدُو إلينـا مُصْـبِحَاً وممَاسِـيَا

حَدثنا رواة هذهِ السّيرة أن النعمان بن المنذر بن ماء السماء لحق بمدينة الحيرة[1] حيث دارهُ وقرارهُ ومُلكُه، ثم جَمع بني ماء السماء فأعلمهم بالأمر الذي هو عليه فلم يهتدوا لمثل هذا جواباً ولا طاقة لهم بامتناع كسرى ولا يستطيعون أن يُزوجوه ولا تَقَدَّمَهم أحدٌ من العرب بتزويج العجم.

ولو كان ذلك موجوداً لتأسَّوْا به واتخذوا به يَداً عنده فَعَذرهُم النعمان على انقطاعهم وعِلم ما بهم وما هَالَهم فعند ذلك ذكر في نفسه، ثم أضمر على رأي، وأعلمهم به قال تستجير الحرقة في أحياء العرب من قومنا قحطان، وفي أصهارنا عدنان ونثبت على ملكنا، وأجنّد الجنود، وأنفق الأموال فإن تاركنا تاركناه وإن سير إلينا جنداً قاتلناه قالوا: أيها الملك فإذا عزمت على ذلِك فلا تُغَرّب ابنتك ولا تخرجها إلى حيّ من العرب حتى يستدبر أمر الملك وما يكون من عواقبه فاتفقوا على الرأي، قال: وإن النعمان بن المنذر جند الجنود، وأنفق الأموال، وبعث إلى كسرى يعتذر فغضب عليه كسرى وسيَّر إليه مائة ألف فيهم الطميح بن عبيد بن سويد الإيادي.

وكانت أياد مندرجة في خدمة العجم من قديم الزّمان، فسارَ الطميح بمن معه، وبلغ النعمان علم مسيره فجمّع ولقيه في حدود العظم في عسكر ضخم فالتقى القوم واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان عسكر النعمان لفيفاً من ألفاف العرب فانهزمُوا وخلوا عنه وعن رهطه لخم، وثبتت خاصّته، ولم تُولِ دُبراً فقتل رهطه واستؤسر هو في جماعة من قومه

---

(١) في الأصل: دمشق لا معنى لها وقد تكررت في ثنايا النص دمشق مرات عديدة وهي من جهل النساخ.

ملوك لخم منهم عمرو بن الرّيان[1]، وأشباهه قال: وإن الهزيم دخل مدينة الحيرة فاضطربت المدينة فمن استطاع من آخر ساعته ووقته أن يهرب هرب، ونجا، ومن تأخر أُخذ، قال وإن نساء الملك أُمرن بالشدّ فركبن وخرجن من آخر ساعتهن ولحقت كل واحدة بقومها. قال: وكانت المتجردة قد ماتت يومئذٍ فخرجت الحرقة إلى العرب.

حدّثنا رواة هذا الحديث أنَّ الطميح بن عبيد بن سويد الإيادي بعد انفضاض عساكر النعمان، وأسره هو وجماعته، وبعد قتل من قتل منهم توجّه إلى مدينة الحيرة فدخلها بمن معه فأصابوا من الغنائم فيها ما لا يصفه الواصفون، ومن السبايا الكثيرة الأخر.

وأما النعمان بن المنذر فإنه أسر، قال الطميح للنعمان: هل لك أن تعطف على نفسك، وتستديم ملكك، وتأمر بإحضار ابنتك فإنه يرضى عنك الملك، وأنه سيعطف عليك، وأنا الضّامن لك بذلك، قال النعمان كَلا بُل ذَهابُ نفسي مع زوال ملكي أَهْون عليَّ من أن أبتَدِع تزويج العجم في العرب، ثم أنشأ يقول:[الطويل]

لَعَمْـرُكَ إنَّ المـوتَ، والقَـبْرَ، والـبِلى	لا هُـونَ مِـنَ رَكْـبِ الأمـور الفَـوادحِ
وهـل للفتـى عَـيْشٌ وللعـيش بَهجـةٌ	إذا كـان ذا ثَـوْبٌ مـن العَـارِ فاضِـحِ
أبـى اللهُ إلاّ أنكـم آل مُنـذرٍ	تَعَـافونَ عُمْـرِي فَاحِشَـاتِ القَبَـائحِ
ولـو لم يكـن للفُـرْسِ حَـولي مُجَمَّـعٌ	لمـا كُنْـتُ مأسـوراً بِقَـدِّ الشَّرائـحِ
فَصَـبْراً جمـيلاً يـا ابـنَ مُنْـذِرٍ عَلَّـهُ	يُفِيْـدُ نجاحـاً مِـنْ جَمِيْـعِ الفَضَـائِحِ

قال: حدثنا رواة هذه السيرة أن الطميح بن عبيد أقام بمدينة الحيرة، وأرسل على الملك كسرى بالأسارى وفيهم النعمان بن المنذر ويعلمه أيستقر بمدينة الحيرة أم يؤوبَ إليه فلما جاء رسول الطميح بالأخبار المبشرة بالظفر وبالقوم الأسارى يعث الملك إلى الطميح يقول له تأمر بصوائح تصيح، في ديار العرب من أجار الحرَقَةَ أو أواها فليستعد

---

(١) الريان بن المنذر: شقيق النعمان بن المنذر، وعمرو بن الريان ابن أخ النعمان، الكامل للمبرد ٢/ ٨٢، مجمع الامثال ١/ ٤٣٩، الكامل تحقيق الدالي ٦٠٥، تاريخ الحيرة شرح مطول ص ٢٤٦.

لجنود كسرى، وتبرأ الذّمّةَ ممّن أجارها. قال: فأمر الطّمح بصوائح في العرب، قـال: وإنّ كسرى أمر بالأساري وفيهم النّعمان بن المنذر فسجنوا، ولم يزالوا في السجن حتّى ماتوا جميعاً، وقد ذكرت العرب ذلك في أشعارها فمن ذلك قول شبيب بن عامر اللخمي يقول:[الطويل]

أَلاَ لَـن يَلَـذَّ العَـيْشُ مِـنْ بَعْـدِ مُنْـذِرٍ وَنُعْـمَانَ أَمْـلاكُ الأفاضـلِ يَعْـرُبِ

مُلُـوكٌ هـم الصَّـيصّ في لَخْـمٍ كلّهـا وهـم شَرَفُ العَليـاءِ في كُـلِّ مَنْصِـبِ

ثـووا في بَـلاد العَجَـمِ بالسّجن بعـدما بنَـوُا لِقَـرارِ المجـد في كُـلِّ عِـزٍّ مَرْتَـبِ

وَمـدَّ أنـو شُرْوَانَ كِسْرَى بخـيلهم إلى عفـوة مِـنْ مَشْرَبٍ مُتَقَصّـبِ

وقال في ذلك رُزام بن حنظلة الجعدي:[الطويل]

تَوَلَّـتْ لَيَـالي آلِ مُنْـذِرٍ بَعْـدَما ثَـوَوا بـالحيرة أَعْصُراً وَزَمَانَـاً

وكـانوا يُفِيـدُونَ العُفَـاةَ نَـوالهم وَقَـدْ مَنَحُـوا أَهْـلَ الزَّمَـانِ أمانـاً

فَغَـادرهم في السّـجن كِسْرَى ببغيـهِ وَقَلّـدَهُم بَعْـدَ العُلُـوِّ هَوانَـا

فـلا يَـأْمَنِ الـدّنيا جَهُـولٌ فـإنني أَرَى نَاصِـحَ الـدُّنْيَا الغَـدَاةَ مُهانَـا

قال: حدثني رواة هذه السيرة أنه لما صاح صائح كسرى في ديار العرب وقفوا، وتأبّوا جِوار الحِرَقَةَ وعظم فزع الحِرقَةَ وخوفها وحثّ الطميح في طلبها وكثر نفيرها فأوّل من طلبت الإجارة ملوك جفنة من غسان فاعتذروا ثم دارت في قبائل طي.

وفي قبائل قحطان قبيلة بعد قبيلة فلم يُجِرْهَا أَحَدٌ، وفي قبائل مضر وربيعة فلم يُجِرْهَا أحد فعظم ذلك الأمر عليها ولم تسعها الأرض بل ضاقت بها لشأن الطلّب، وقلّة الامتناع، ثم إنّها أَوَتْ ليلة إلى حرم ثعلبة الشيباني وهو أبو الحجيجة، حجيجة وائل فأناخت بعيرها وحلّت أنساعه وضربت بطنه ليَسري حيث شاء.

وقد قلّ أمنها من الطواف على العرب، وأيقنت بالاغتصاب، والأخذ ولا سألت عن شيء فبصر بها بعض الرعاة فجلب لها لبناً، وجاء فوضعه بين يديها، ثم ولّى عنها

فلم تعبأ به، ولم تقم إليه فجاء كلب فشربه فلم تسأل عنه، وإذا بالرّاعي، والكلب على اللبّن يشربه وهي تنظر إليه فزجره وقال ما للكلب يشرب لبناً خليتَهُ لك غُشّاً، وأنت تنظريه، قالت أدبر كَمَا أقبلتَ قد صارت في زمانِنَا هذا أغضب، وأحمى من العرب إذ كانت تجير، وتحمي من يأوي على مَرابَطها، والعرب لا تحمي ولا تحوط من يأوي إليها، وتستغيث بها ثم أنشأت تقول:[الكامل]

لم يَبْقَ في كُلِّ القَبائِلِ مَطْمَعٌ ... لي في الجوار فَقَتْلُ نَفسي أعْوَدُ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ، والحوادثُ جَمَّةٌ ... أني أَمُوتُ ولم تَعِدني العُوَّدُ
حتى رَأَيتُ على جِرَايَةِ مولدي ... مُلْكَاً يَزُول وَشَمْلُهُ يَتَبَدَّدُ
فَدُهِيْتُ بالنُّعْمانِ أَعْظَمَ دَهْيَةٍ ... وَرَجِعْتُ مِنْ بَعْدِ السَّمَيدعِ أطرَدُ
وَغَشِيْتُ كُلَّ العَرَبِ حتى لم أَجِدْ ... ذا مِرّة حَسَنُ الحفيظة تُوْجَدُ
وَرَجَعْتُ في إضمارِ نفسي كَي أَمُتْ ... عَطَشَاً وَجُوْعَاً حَرَّهُ يتوقَّدُ
موتي بُعيد أَبيكِ كَيْفَ حياتَنا ... والموتُ فَهو لِكُلِّ حَيٍّ مَرَصَدُ
يا نَفْسُ مُوتي حَسْرَةً واستيقني ... سَيَضُمُّ جِسْمَكِ بَعْدَ ذَاكَ الألحدُ
خَابَ الرّجا ذَهَبَ العِزُّ أَفِلَ الوفا ... لاَ السَّهْلِ سَهْلٌ ولا نُجودي أنجدُ
جَمَدَتْ عُيونُ النّاس مِنْ جيرانها ... مَقْتُوْلَةَ الآباء نِضْواً تَطرَدُ
تبغي الجِوارَ فلا تُجارُ وَقَبْلَ ذا ... كَان المُنادي للجُوارِ يَسَوَّدُ
فالموتُ فِيْهِ فُرْجَةٌ فتأبدي ... لَيْسَ المفزّع قَلْبُهُ يتأيدُ
أُفٍّ لِدهرٍ لا يَدومُ سُرُوْرُهُ ... وَلخِضْبِ عَيْشٍ غَضُّهُ يَتَنَكَّدُ
ما الدَّهْرُ إلا مِثْلَ نَبْت ذَابِلٍ ... وَبدور شَمْسٍ فَارقتها الأَسْعُدُ
وَصُروفُ هذا الدهرِ أَعْظَمُ مَطْلَباً ... للأعظمين هَلاكُهُم يَتَوَدَّدُ
أَفَهَلْ رَأيتم أَسْفَلاً يُفنى كَمَا ... تُفنى الأعالي إلا سمحون السُّوددُ

لا مَـــا أَظِـــنُّ وللزمـــان بَقِيَّـــةٌ   ولوضـــع قَـــوْمٍ في الـــدُّنا لا يُنْجَـــدُ
قُـــومي تَهَـــيَّ للمَـــمَاتِ فأنّـــهُ   أَوْلى بـــذي حَـــزَنٍ وَهُـــوَ لا يُســـعَدُ

حدثنا رواة هذه السيرة أن الرّاعي لما سمع الشعر وعاه فرثى لها من قبل معرفته لها، ثم دنا منها فأستكشفها عن خبرها فأوضحت له أمرها فقال لها أبشري بزوال همّك عنك وانصرف عنها إلى الحجيجة صفية ابنة ثعلبة الشيباني وهي حجيجة وائل، والحجيجان من نساء العرب خمس لا غير، وهي واحدة من الحجيجات فأنشدها شعر الحرقة، وأخبرها بخبرها قالت قد سمعت لصوائح الملك وما كنت أرى أنها تقطع العرب عن عوائدها لشأن الجار، يا غلام خذ قناعي هذا فأتني بها حتى نواسيها بأنفسنا فإما سلامة عالية الفخر.

وإمّا ندامة باقية الذكر فمضى الراعي بالقناع مسروراً لها به وبالفرج الذي وقع لها على يديه فأسلم إليها القناع وقال أجيبي الحجيجة فقالت كنت أسمع بشرف الحجيجات أفمرسلتك هذه صاحبة القناع منهنّ قال نعم فنهضت، وكان يسير أمامها وهي من خلفه حتى جمع بينهما في خلوة فاستقبلتها صفية وهي أيضاً شمسية لضيائها وإشراقها.

وأمّا الاسم الذي سميّت به فصفية فرفقت بها حتى تنفّست وذهب روعها ثم قالت لها يا ابنة الملك نامي وقريّ عيناً فقومي إلى أوفى العرب ذمّة، وأعلاهم همّة، غير أن هذا الملك هو ذُووا الداهيتين وما صدمنا أحداً إلا أفنيناه غير أني أرجو لقومي عاقبة الصبر ولن تموتي بعد هذا وحدك إلاّ مع نفوس كثيرة ذكراناً وإناثاً وإلا حَييتِ معها فشكرت لها بذلك، والحيّ من قومها لا يشعرون بذلك، على أن كان الصّباح، فقامت صفيّة فركبت جملاً لأبيها وشدّت عليه بمسامة.

وكانت لا تفعل ذلك إلاّ في شديدة أو معضل أمرٍ فلما رآها قومها أنكروا منها، ومن فعلها، وكانت أيّام هدنة، وأمَان وعَافية فصاروا مفكّرين في أمرها فلما دنت من نادي

قومها استقبلوها وقالوا لها ما وراءك قالت الحرقة قد أجرتها على ذكي الداهيتين وهي في بيتي ثم أنشأت تقول:[الكامل]

أحيوا الجِيَارَ فَقَدْ أماتَهُ مَعَاً كُلُّ الأعَارِبِ يَا بَنِي شَيْبَانِ
ما العُذْرُ قَدْ لَفَتْ ثيابي حُرَّةٌ مَغْرُوسَةٌ في الدُّرّ، والمُرْجَانِ
بِنْتُ الملوك ذَوي المالكِ، والعُلَى ذَاتُ الحِجَالِ وَصَفْوَةُ النُّعْمَانِ
اتهافتون، وتشحَذُونَ سُيوفكم وَتُقَوّمُونَ ذَوَابِلَ المُرّانِ
وَتُسَوّمون جِيَادَكُمْ يا مَعْشَري وتجدّدون خَضْبَةَ الأبدانِ
وعلى الأكاسر أَجَرْتُ لحرّة بِكُهُولِ مَعْشَرِنا مع الشُّبانِ
شَيبَانُ قَومي هَلْ قَبِيلٌ مِثْلُهم عِنْدَ الكِفَاحِ وَكَرَّةِ الفُرسانِ
لا، والذوائبُ من فُروعِ رَبيعةٍ مَا مِثْلُهم في نَائِبِ الحَدَثَانِ
قَومٌ يجيرون اللهيفَ مِنَ العِدَا وَيُحَاطُ عُمْرِي من صُروفِ زَمَاني
تَرِدُ الهياجَ بَنُو أبي لا تتقي سطا العَدُوِّ وَصَوْلَةَ الأقرانِ
إني حَجِيْجَةُ وائِلٌ وبوائل يَنْجُو الطَّرِيْدَ بِشَطْبَةٍ وَحِصَانِ
يا آلَ شَيْبَانَ ظَفِرْتُم في الدُّنا بالفَخْرِ، والمعروفِ، والإحسانِ

قال: فلما سمعوا شعرها نظر بعضهم إلى بعض وقالوا هل لكم من طاقة دون العرب بذي الداهيتين قالت قد وَقَعْتُم فاصبروا ودخَلْتم الماء فشمرّوا.

وحدثنا رواة هذه السيرة أن القوم افترقوا في إصلاح شأنهم وافتقاد عُدَدِهم، والاستعداد للبلاء الثقيل فأقاموا على ذلك أياماً، والطُمَيح يبحث عن الحرقة وعِندَ من هي ويبذل على ذلك الأموال حتى صَحَّ له أنها عند أشراف ربيعة بني شيبان فتحيَّر في أمره وكره مُعاتبَة الملك فيُسيرّ إليهم المائة الثانية.

وكان الطميح شريف إياد وشجاعها في زمانه، وكان كثير الأَنَفَة، والعصبية فبعث

على بني شيبان رجلاً من خاصته يقول لا يُهلكونا ولا أنفَسهم فلا طاقة لنا ولهم بكسرى يُخرِجوا عنهم هذه الجارية إلى قبائل العرب فردوا عليه أنها جارة الحجيجة ولا طاقة لنا فاصنع ما أنت صانع فلما جاءه رسولهم بذلك ازدادَ غَماً إلى غمه لشأن الحرقة، وتجشمه من قومه أن يجاهرهم بالفتنة ويقصدهم بالجنود.

قال، وكان معه رجال من غسان مناصحون للملك وحريمهم عنده، وقد أحسن إليهم إحساناً كثيراً فهم لا يستطيعون خيانته وكانوا رقباء عليه فلما علموا بمكان الحرقة عند بني شيبان قالوا للطميح ما تنتظر بعد إذ ندبك كسرى وجَعَلَكَ قائد جنوده.

وقد نَصحْنا الملك في ملوكنا فانصح الآن له في قومك، وإلاّ بعثنا إليه من يُعلمه فقد علمت ما لك علينا من الطاعة وما له علينا من النصيحة قال الطميح غادٍ أنا أتصحح الأخبار عنها، ثم أتيّ في ذلك تجُبوئكمُ فرضوا منه بذلك ثم بعث إلى بني شيبان من يُعلمهم بمصانعة القوم من غسّان ويستشيرهم في أمرهم قالوا للرسول يخرجهم إلينا فيمن اختاروا أن يسيروا فيه.

فلما جاءت رسلهم بذلك أمر الطميح رجلاً يذهب إلى بعد الوادي ويأته بأخبار يقوم فيها صلاح أمر بني شيبان فجاء الرسُول يقول إن العرب قد جمعت جمعاً يريدون أن يقصدوا الحيرة فعند ذلك جمع الطميح وعرض جند الملك وهم مائة ألف الذين كانوا معه بالحيرة، وأشعرهم الخبر الذي أتاه، وقال لا أدري ما يصّح منه وما لا يَصحّ، وأنا أخرج إلى بني شيبان فمن كان منكم يريد صنيعة الملك، والنصيحة له أخرجت معه من أختار من جند الملك.

قال له الغسانيّون نحن لهم فأخرج معنا من أردت، قال بل تخرجون من شئتم وإنما أراد الطميح أن يُؤمن لائمتهم، ومن شيء يدخل عليه الخلل عند كسرى، وكان القوم الغسانيّون سبعمائة فارس فقال لهم خذوا من عسكر الملك من شئتم فأتفقوا على عشرة آلاف مقاتل وساروا إلى بني شيبان وقدم الطميح إليهم بريداً يعلمهم بمسير القوم وعددهم فأجمع بنو شيبان خاصّة واستعدّوا للقاءِ القوم، قال، وأنّهم صبحوهم عند

طلوع الشمس فالتقى القوم فأقتتل القوم قتالاً شديداً.

وكان معهم الفِيَلَةَ، والخيل غير باسلة بها أنها قد دخلت فيها وقاتلتها فأقتتل القوم قتالاً شديداً إلى أن مالَ الضُحى، وانهزم العَجم هزيمة قبيحة واقتَلَعوا الخيلَ، والسلاحَ وكثيراً من الفِيلةَ وقَتلُوا منها كثيراً، وأتوا الطميَح في حال يكرهونها وهو بها راضٍ، وقال ثعلبة بن عمرو الشيباني في ذلك:[الكامل]

سَائِلْ ذَوي الفيلِ يَومَ الرَّقْمَتينِ بها ... لاقت فَوَارِسُهُم جَهْراً وما وَجَدُوا

مِنْ ضَرْبِ شَيْبَانَ قومي في صِيَاحِهُم ... لا دَرَّدَرُّهُم بِئْسَ الذي وَرَدُوا

مِلنَا عَليهم بأسيافٍ مُهنّدةٍ ... والقومُ قَوميَ شُوسٌ في الوغا صِيْدُ

كَمْ من صَرِيْعٍ ثَوَى في الرَّوْعِ تَنْهَشُهُ ... عُرْجُ الضِّبَاعِ وَطَيْرٌ حَوْلَهُ حَرْدُ

وَكَمْ جَرِيحٍ نَجَا بَعْدَ العَيَانِ لَهُ ... قَلْبٌ خَفُوقٌ مِنَ الأَهْوَالِ يَرتَعِدُ

هذا جَزَاؤكم في شَأْنِ جَارَتِنَا ... يا وَيْلَكُمُ ضَرْبُ تِلْكَ البيض يَتَّقِدُ

والسَّمْهَرِيّاتُ عَايَنتم عَوامِلَهَا ... دِمَاؤُكم فَوْقَهَا، والخَيْلُ تَطَّرِدُ

تِلْكُمُ فَوارِسُ شَيْبَانَ وَعَادَتُهم ... حِفظُ الجَوارِ، وأَفْعَالٌ لَهُم تَلِدُ

قومٌ إذا غَضِبُوا لم يَرْضِ غَاضِبُهم ... إلاّ الصَّوَّارِمَ، والخَطِّيّ، والتَّلِدُ

فَهَذِهِ عَادةٌ فِينَا، وقد عَرَفَتْ ... يا جُنْدُ كِسْرى مَتى ما شِئْتُمُ فَعَدُوا

قومي الفوارسُ يَوْمَ الحيّ مِنْ عَصِمٍ ... الوَاردونَ على رَوّاءٍ تَرْتَعِدُ

وَيَوْمَ أَرْطَاةَ ذَاتِ النّهلِ كَان لنا ... في آلِ غَسَّانَ يَوْمٌ هَائِلٌ نَكِدُ

بالله لازِلْتَ أَميها كَمَا عَلِقَتْ ... حُبلى، وأَجَهَدُ في الإِصْعَادِ فاجتهدوا

بِمُسْتَطيلٍ من الأَقْوامِ لَيْسَ لهم ... عَنّي رُجُوعٌ ولا صَدٌّ ولا عَنَدُ

والقولُ قولي وَفِعْلي قَدْ يُصَدِّقَهُ ... عَزمي وَلَسْتُ عَنِ الجِيْرَانِ اَتَّئِدُ

ألا بني الرأس من شَيْبَانَ مُنْتَصِباً ... والكاهِلُ الصَّلْتُ، والعِرنينُ، والعَضُدُ

قال، وأن بني شيبان ربطوا الفيلة وجعلوا يضربونها وهي تصيح ويُهجمونَ الخيل عليها وهي الفيلة بأعيانها أخذوها من العسكر يوم الوَقعةِ الأولى، وأقتَلَعُوا خيلاً كثيرة، وألْفَ فيل، وقُتل مقاتلتهم، وقد ذكَرتِ العربُ ذلك في أشعارها من بني شيبان وغيرهم من قحطان وعَدنان فمن ذلك قول مُعاذ بن معاوية حيث يقول:[الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ حَازَتْ بَنو عِجْلٍ مَفْخراً بأخذِهَم الأَفْيَالِ يَوْمَ الرَّقائِم

غَداةَ عَفَا الجُنْدَانُ يَوْمَ تَوليّا بِسلاّنَ في البَيْداءِ سَيْلُ الغَنائِم

وفي ذلك يقوم بكر بن ناشر الشيباني حيث يقول:[الطويل]

سَلُوا عَنْ بني شَيْبَانَ جُندين فيهما عَبِيدٌ وَمَنْصُورٌ، وأقبال دُرَّسِ

ألم يأخذوا الأَفْيَالَ بَعْدَ فَنَائِهم وتركُهُمُ صُرْعَى بأجراعِ دورس

وفي ذلك يقول شعثم بن مالك الطائي حيث يقول:[البسيط]

جُنْدُ الطَّمَيْحِ غَداةَ الدَرْوعُ قد لقيا شُوسَاً أَشَاوِسَ في الهَيْجَاءِ عُبّاسَا

فصَرَّعوهم وبالأفيال قَدْ ظَفِرُوا فيا لها وَقْعَةٌ قَدْ هَالَتِ النَّاسَا

وفي ذلك يقول حِمير بن رزام حيث يقول:[البسيط]

لا خَيَّبُ اللهُ شَيْبَاناً، وتغلَبَها يَوْمَ الرُّقَيْمَةِ في جُنَدينِ مِنْ عَرَبِ

وَمِنْ أَعَاجِمَ قَدْ أفنَوَا سَراتهمُ والفيلَ حَازُوهُ بالمرّانِ، والقُضُب

قال، قولهم الجُندان لأنهم جندٌ من العرب وجندٌ من العجم من غسان وإيادِ فهم الجند الثاني، قال وإنَّ بني جفنة لما سمعوا بمكان الحرقة عند بني شيبان اجتمعوا إلى موضع يقال له الأعفار وجنَّدوا.

خبر وقعة الأعفار بين غسان وجُند الملك

قال رواة الحديث إنَ ملوك جفنة استجاشوا وانَفوا وجَمَعوا من ولد أبيهم خاصّةَ عشرين ألف فارس من وجود أهل اليمن وصناديدهم ذوي النَجدة، والبأس، والشدة، والمِراس مِن أنجاد وُلد كهلاَن من أهل الملك وطلاب المعالي فبلغ عِلمُهم إلى الطميح بن عبيد بن سويد الإيادي وقوّاد الملك فأجمع رأيهم على أن يضايقونهم قبل أملهم فزحف عليهم الطميح بِمَن مَعَهُ من القادة، والجند.

قال وإنّ عمرو بن ثعلبة الشيباني أخو صفية الحجيجة لما بلغه ذلك من عِلمهم انْتَدَبَ فُرساناً من قومه منهم نافِعُ بن وائل، والربيع بن المسّيْب، والمسيب بن عمرو وراجح بن مبارك وعقبة بن زيد، وأبو الأسلد بن مالك، والأخنس بن عامر ومسلم بن زهير، والأفقم بن سريح، والأعشى بن عليّ، وعبيد بن عمرو، وأبو العوف بن ثعلبة، والمروح بن بشر، والصلت بن الأعمى ويكر بن شعثم وعُبادّة بن مُرّة، والحارث بن قسم، وسالم بن المروح، وظليم بن عبيد، وذو النقرة بن الجحدر، والعنبس بن الفضل وعمارة بن الأعوض ومالك بن علوان، وأن لكل رجل من هؤلاء المذكورين رجالاً تحته وهو مقدّم عليهم وهؤلاءِ رجال بني شيبان وفرسانها ذو النجدة، والبأس، والشدة، والمراس، وعمرو بن ثعلبة بمنزلة خاله براق بن روحان في حاله، وقد كان فيه كثير من خصاله، وقد ذكره علقمة العجلي حيث يقول:[الطويل]

وَإِنَّ لَعمــرو مِـــنْ خَصَـــائِلِ خَالـــهِ بُــراق بْــنُ رَوْحَــانَ التميمــي مَفْخَــرُ

هُمَــامٌ إذا الحَــرْبُ العَــوانُ تَسَــعَّرَتْ وَغَيْــثٌ لــدى العَــافِيْنَ للجُــودِ يُمْطِـرُ

حدثنا رواة هذه السيرة أن هؤلاء الفرسان خمسة وعشرون فارساً وعمرو بن ثعلبة سادسهم وهو أقدمهم على الأهوال، وأصبرهم في كل حال.

قال رواة هذه السيرة فلما حضر هؤلاء الفرسان ومثلوا بين يديه وجمع إليهم فرسان آخرين وقال لهم إنه قد بلغني أن ملوك جفنة قد جمعوا بالأعفار لجند الملك، وأن

الطميح سائِر إليهم، وأنا أريد أشهد بكمْ الوقعة قالوا: نِعمَ الرأي جئت به نزداد بذلك معرفة بقتال العجم ونعود خلينا الاختلاط بالفيلة، وافترق القوم في إصلاح شأنهم، والتجهّز للمسير، قال وإن الطميح سار بجنوده لملوك بني جفنة فقصدهم بالأعفار، وأتاهم فثبتوا واستعدّوا ولقوا عساكر الملك وهم في قلة من قومهم وكانوا عشرين ألفاً لا يَزيدون، والطميح في مائة ألف فارس فصبحهم واقتتلوا قتالاً شديداً واشتغل بعضهم ببعض، وأدرك القوم عمرو بن ثعلبة بمن معه، والقوم في القتال فقال لأصحابه قد اشتغل بعضهم ببعض فميلوا بنا إلى أثقال جند الملك فانقلوا ركائبهم واحمُلوا خيار أمتعتهم، وأنا أشهد الوقعة، وأدرككم بخبر الجدين فغدوا إلى أثقال جند الملك فحملوا خيار أمتعتهم على ركائبهم فولّوا بها.

قيل، وأن عمرو بن ثعلبة حمل في السواد وقاتل مع ملوك بني جفنة ساعة مليّة واستقاموا وصبروا، ثم كثروا وقهروا بعد صبر مشكور وجلاد مذكور فولوا لما كثر بهم القتل ولم يكن لهم بعد ذلك من عطفَه، ثم إن جند الملك اطلع بعضهم على أثقالهم فلم يجدوها فصاح صائحهم في الجند فخرج طائفة من الجند وخرجوا خَلفَ أثقالهم، وتبعهم عمرو بن ثعلبة، وكان يحمل في آخرِهم ويقتل، فلما رأوا ذلك صاح آخرهم على أوّلهم فتأملوا فإذا هو فارس واحد فحملوا عليه حملة رجل واحد ما ظنَّ أحد أنه يفلت منها.

وكان تحته فرس سابق من أولاد المنسوب فرس خاله البراق بن روحان فما كان أسرع من خروجه من السواد ووارى أصحابه وصارَ يُحامي عليهم في آخر خيلهم، وأوّل خيل كسرى حتى أفلتوا ما معهم وحال بينهم الليل فلما قدم عمرو بن ثعلبة وقومه بالغنائم قسمها بين الصغير، والكبير، والغني، والفقير، ووافق منها الذهب، والفضة، واللؤلؤ، والياقوت، واللِباس الحَسَن، والخز، والقز، والفرش، والديباج الأحمر، والأخضر، والأصفر ومالا يعرفونه قبل، ولما اقتسموا أيقنوا حينئذ بالهلاك، وأنها تكون داعية لذلك، وفي ذلك تقول صفية ابنة ثعلبة الحجيجة: [البسيط]

سَــاقَتْ فَــوارِسُ شَــيْبَانَ لَمِعشرِهــا خَــيْرَ الصَّــنَائِعِ فيهــا ظَفْـرَةُ العَجَــمِ
غــنماً سَــبَايا مِــنَ الــدُّيْبَاجِ فُرُشُــهم والتُّسْــتَرِيُّ واقُتَــانٌ مِــنَ القَسَــمِ
ثــم النُّضَــارُ وفيــهِ الــدُّرُّ مُنْــتَظِمٌ واللؤلـؤُ العُجْـمُ، والمعـروفُ بـالنُّظمِ
أَهْدى أخي عَمرو خَيْرَ الغُنْمْ فِانتظروا عِنْـدَ الصَّـباحِ جِبُـاهُ الخَيْـلِ بالخَـذمِ
يــا آلَ شَــيْبَانَ بَعْــدَ اليَــوْمِ لا صَــدَدٌ عــن الكِفَــاحِ وَضَرْبٍ مُتْلِـفِ القِمَـمِ
إني وَعمــروٌ عــلى وَعْــدٍ نفــيءُ بِــهِ مِــنَ الوَفــاءِ، وأسْــبَابٍ مِــنَ الــذِّمَمِ
هــذا مقــالي وَقَــوْمٌ قَــائِلُونَ معــي كــما أَقُــولُ لِسَــانٌ صَــادِقٌ بِــفَمِ
أنــا الحُجَيجَــةُ مِــنْ قَــوْمٍ ذَوِي شَرَفٍ أولى الحِفــاظِ، وأهــلُ العِــزِّ، والكَــرَمِ
والعِــزُّ فِيْنَــا قَــدياً غَــيْرُ مُفْــتَرِقٍ والجــارُ فــاعلم عَزِيْــزاً دَارُهُ بِهِــم
قُــولي لــكِسرى أجْرنَــا جَــارَةٌ فَتَــوتْ في شــامِخِ العِـزّ يـا كِسْرَى عـلى الـرَّغمِ
نَحْــنُ الــذين إذا قُمْنَــا لداهيــةٍ لم نَبْتَــدِعِ عِنْــدَهَا شَــيئاً مِــنَ النَّــدَمِ
نَحُــوطُ جَاراتِنــا مِــنْ كُــلِّ نَائبــةٍ ونُرْفِـدُ الجـارَ مَـا يَـرْضى مـن الـنِّعَمِ

قال رواة هذه السيرة، وإن الطميح لما رجع إلى مدينة الحيرة أقبل عليه منصور بن عمرو الغساني، وأخوته وقومه، ثم قالوا يا طميح ما رضيت بنو شيبان بعد إذ جاروا الحرقة حتى أخذوا أمتعتنا وظاهروا علينا بني جفنة وذلك كلّه من إتّقائل عليهم فعند ذلك بعث إلى بني شيبان أن يحذروا وينضّمَ بعضهم إلى بعض فإني لا آمن عليهم بعد اليوم فردوا جوابه أنها جارتها الحجيجة ولا طاقة لنا بها فاصنع ما أنت صانع وعليك التصريف، والاجتهاد وعلينا الطعان، والجلاد، وقد دخلنا بالخطر وهذا غاية الخبر.

فلما أتته رسله بذلك أيقن بهلاكهم وصار مُنكراً في أمرهم يقول طوراً ضلت أحلامهم وخاب سعيهم، وطوراً يقول، والله لقد ذهبوا بفخر الجوار وحسن الآثار، ولقد استمسكوا بعروة المجد ولنعم ما فعلوا غير أن جرهم لا يجيد عنهم شيئاً وليت

شعري كيف يكون خلاصي بينهم وكثرة تحيّره في ذلك.

قيل وإن منصوراً قال للطميح ما يمنعك أن تنصح الملك في قومك كنصيحتنا له في قومنا بني ماء السماء وكفِعالك أمس في الأغفار ببني جفنة فِلمَ لا تسير إليهم بجنود الملك فتذهبهم بها، وتدكهم دكاً، وتنزل فيهم النِكاية التي ترضى الملك فلقد علمت بمكانك عنده وكثرة أياديه عليك، وبالله لئن لم تأتِ فيه بمحبوب الملك لاكتمنا اتقاءك عليهم عنده ولنَرفعَن عليكَ ذلك.

قال الطميّح: يا منصور إنّ بني شيبان لأقَلُّ من أن أسير إليهم بجنود الملك كافة غير أنّي أسْتَهِمُ أنا، وأنت على الخروج إليهم بمثل الجند الأول فإن وقع سَهْمُ الخروج عليك خرجت إليهم بأكفائهم وكفيتَ وإن خرج عليَّ السَهم توليت كفايتهم ولا يكون غير ذلك واعلم يا منصور أنك حريص في وَهْنِة بني شيبان وهلاكهم، وبالله لئن كان ذلك لَيُضَيّعنّ الجوار ولَيكوننَّ بني شيبان نذراً وحذراً للعرب، فمهلاً يا منصور اقصد في الأمر فإنهم أجاروا ابنة عِمكَ بعد إذ كَرِهَتْ العربُ إجارتها من قحطان وعدنان؛ يا طميح يَرُدّوُها إلى يدي، وأنا أبرئهم من ذمّتها وعليَّ صلاحَ شأنها، وأمرها ولم أجد لها عِوضاً بعد أبيها وملكه مثل كسرى وملكه قال نحن نوجه إليهم رجلين أحدهما من خاصتك، والآخر من قبلي يخاطبُهُمْ بهذا فلعلّهُمْ إنْ يَقَبلونه فيكون أهْوَنَ علينا وعليهم فاتفقَ الرّجُلان على ذلك وَوجها رسولين بذلك.

فلمّا قدما على بني شيبان ورسالتهما وَجّهوا بهما إلى الحجُيجة فأوقفت الحرقة على رسالة منصور فقالت الحرقة العذاب الدائم، والقتل، والغلّ في السلاسل في السجن، والصّلب في الشمس أو على لهب النار ورفيع الدّخان أهون عليَّ من هذا الرأي فإن عزمتم على ذلك تُسلّموني إلى منصور يَمضْي عليّ حكمُهُ ويقطع برأيه فاربطوني بينَ رَمْكةٍ عشارٍ وبين حصانٍ مُنِعم قد أضربَ به حتى يلتقيا عليّ، فهي تضربه برجليها وهو لا يردّه عنها شيء فاذهب بينهما تحت حوافرهما خير لي مما يحاوله منصور فقالت لها صفية، والله لو رَضيتِ ذلِك لنفسك ما رضيناه لكِ ولا اخترناه لكَ بعد أن لزمنا أمرك

وعرفنا بالقيام غير أنّي أردتُ أن لا أُخفي عَنْكِ شيئاً، ثم رَدَّتْ رُسلُ منصور بالكراهية، وأنشأت تقول: [البسيط]

قُــولي لِمَنْصُــور لاَدَرَّتْ خلائِفُــهُ ... مـا صَاحَ فـيهم غُـرابُ البَيْنِ أَوْ نَعَقَـا

مَــنْ زَوَّجَ الفُــرْسَ يَـامتبولُ قَـبْلِكم ... مِــنَ الأَعَـارِبِ يـا مَخْـذُولُ أو سَـبَقَا

إِخـتَرْ عَـدِمْتُكَ مـن حُـرٍّ أَخـا ثِقَـةٍ ... فـأنطق فَأَنْـتَ أَشَرُّ النَّـاسِ إِنْ نَطَقَـا

يـا وَيْـحَ أُمِّـكَ يـا مَنْصُـورُ إِنَّ لَنَـا ... خَـيْلاً كِراماً تَصُـونُ الجَـارَ ماَعِلقـا

بـالله لاَنـال مَنْصُـورٌ لجارتنـا ... وَكُـلُّ جَـيْشٍ يجَيْئنـا يَـرْجِعْنَ فَرِقَـا

فَمُتْ بغيظَكِ يـاَ مَنْصُورُ واحْـيَ عَـلِيَّ ... بَفُضـاكَ قـومي وشِـمّرْ كُـلّ يَـومِ لِقِـا

واحَـذرْ تمُنَّـى فـما تُعْطـى مُنَـاكَ بهـا ... فَتِلْـكَ مُنْيـا تُعِيْـدُ الضَّـعْفَ، والنرقـا

لَيْسَـتْ بنـو بَكْـرٍ تَـرْضَى مـا رَضِيَتْ بِـهِ ... يـا ابـنَ الَدنّيـةِ فَاجْمِـلْ إِنْ أَرَدْتَ بَقَـا

قال، وعند وصول رسوليَ الرُجلين بجواب صفية وإنشاد شعرها حنق منصور حنقاً شديداً وآلى على نفسه لَيَغْدُوَنَّ ويَروحَنّ في حرب بني شيبان ولُيحرضنَّ على هلاكِهم كما كان هَلاك بنيٍ ماء السماء على يد الطُّميح، ثم قال يا طُّميح ما عندك في القوم، قال الحال الذي سمعته منّي أستَهِمُ أنا، وأنتَ فمن خرج السهُم عليه خرج لبني شيبان وكفى حالهم.

قال فلم يجد منصور في ذلك عُذراً ولا حجة تدفَعُ عنه فعند ذلك تساهما فوقع السَّهمُ على منصور فخرج مكرها بمثل الجند الأوّل، وقد علم أنه لا يستقيم لبني شيبان، فانشأ يقول:[البسيط]

كــادَ الطِّمِـيْحُ لمنصــورٍ، وأخوتــهِ ... كَيْـداً ليظفـرَ شَـيّبَاناً كَـمَا ظَفُـروا

بــالَّرقمتين غَــداَةَ الجُنْــدُ مُضْـطَهداً ... جُنْــدُ المليــك أنــوشُرْوَانَ إذ كُسّروا

مَــنِ مُبلَــغ اَلمِلــكَ السّــامى خِيَانَتَــهُ ... فــإنما بِطَمّــيح عِجْــلٍ قَــدْ نَصرُوا

إنّ الأَعَــارِبَ أَعْلاهَــا، وأسْــفَلُها قد نكَّسُوا رُؤوسَهُم عنها وما قَدَروا

لِلمَلَـكِ كِسرى مُناواةً، وقـد عَلِمُـواْ ما عِنْـدَهُ مِـنْ جُنُـودٍ عِنْـدَمَا خَـبرُوا

وَسَـوْفَ أَجَهْـدُ في إفنـاءِ فَوارِسِـهم أَقْسَـمْتُ بـالله بَعْـدَ القَتْـلِ لافـتروا

إِنْ لم يَـنْحَنِ عـلى عِجْـلٍ نِسَـاؤهمُ ثكـلاً هُنـاكَ فـلا سَـامُوا إلى الشَّرر

أَنـا ابـنُ عمـرو وَكُـلُّ الخيـل تحذَرُني عِنْـدَ الكِفَـاحِ سِـوى عِجْـلٍ فما حَـذَرُوا

وسـوفَ أَتـرُكُ في شَـيْبَانَ مُعْولـةً ثكـلاَ تشـكو لَهِيـبَ النَّـارِ تَسْـتَعِرُ

لأجعَلَـــنَّ حِبَـــالاً في رِقَــابِهِم فيهـا المَذلَّـةُ، والإصـغارُ، والخَـرُرُ

ذكر الوقعة الثانية بين منصور وبني شيبان

قال رواة هذه السيرة: وإنَّ منصوراً سار بعسكره، وقد قَدِمَ الطّميح إلى بني شيبان من ينذرهم فيصبحهم منصور وهم حذرون مستعدون، وكانت عين أبي جدابة مع القوم بالحيرة فخرج يعلم أبا جدابة التغلبيّ بمسير منصور فأسرع في الغارة وحضر الوقعة، والتقى القوم واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن اعتدل النهار وافترق الحيان وثارَ الغبار بينهم، وكان أول من لقي الجند عمرو بن ثعلبة، وأبوه من خلفه، ثم تواترت الخيل، وأوّل غارة أبي جدابة بآخر خيل بني شيبان فلما كان عند افتراق ألحيَّن أبرز منصور بن عمرو ونادي ببراز عمرو بن ثعلبة فأجابه مسرعاً وهو يقول:[الرجز]

إني إذا الـــدَّاعي مُجِيْـــبٌ في عِجِـــلْ دَاعـى الحِـدَادِ، والجيـادِ، والأسـلْ

والضَّرْبِ مـن تحْـتِ العَجَـاجِ في القُلـلْ أنــا ابــنُ مَهْيُــوبٍ في القــوم بَطَــلْ

مُجَـــرّبٌ تَعْرِفُـــهُ الخيـــلُ، والجَمَـــلْ نَحْـــنُ بنـــي مَـــاء السَّـــمَاءِ لا نَمُـــلّ

ولا نُبَـــالي بالزمـــانِ مـــا فَعَـــلْ

والتقى الرجلان وكانا قويّن فاطعنا بالرّماح حتى تكسّرت واضطربا بالسيوف حتى تَقَلّلت وكلنا مظاهرين بالحديد، وتصادما، وتواثبا، وتباعدا، وتقاربا وضرب كل واحد منهما درع صاحبه، وتواثقا.

وكان عمرو بن ثعلبة في استواء من شبابه ما بين الثلاثين، والأربعين، وكان منصور في الكهولة ما بين الخمسين، والستين، قال وانَّ عمرو بن ثعلبة اقتلع منصوراً من سرجه وطرح به الأرض وكره قتله ثم تنحّى عنه.

وقال اركب جوادك فركب منصور وحمل هؤلاء على هؤلاء فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى غروب الشمس، وكانت الدائرة على منصور، وأصحابه واقتلعوا القوم خيلاً وسلاحاً وانصرف أبو جدابة من المعركة رائحاً فتقدّمهم عمرو بن ثعلبة يقسم عليهم بالتقدم معه فزجره أبوه وقال مهلاً ليس هذا أو أنّ ذلك عاد العشيرة على حقدٍ وغضب فدعهم

حتى يَبْرُد ذلك، ثم يكون ما تُحِبُّ فانصرف كل قوم إلى أماكنهم، وقال نافع بن عامر الشيباني في ذلك:[الطويل]

عـلى ابنـةِ مـاء الْمُـزْنِ نحمـي ونَحتَمـي ... عـلى مِثلِهـا تَحْمِـي الكُـمَاةُ الأَكَـارِمُ

نُحَـافِظُ عـلى بِنْـتِ المليـكِ بَعْيَـدما ... أَلِـحَّ عليهـا بـا الطُّـلابِ الأَعَـاجِمُ

وَلَمَّـا تُجِزْهَـا العَـرَبُ في وجُهاتِهـا ... وَقَـدْ هَتَكَـتْ أَسْـتَارُهَا، والمحـارِمُ

تَـؤوبُ إلَى بيضَـاءِ مِـنَ آلِ وَائِـلِ ... فَلَـمْ تَرْتَعِـدُ مِنهَـا الحَنَـا، والحَيَـازِمُ

أَجَـارَتْ لَعَمـري حُـرّةٌ يَمنيّـةً ... مِهَذَّبـةَ الأَنْسَـابِ فيهـا الأَكَـارِمُ

أَجَارَتْ فَلَـم تَفْحُشْ ولم تُخِفْ جَارها ... ولا لُوِيَـتْ يَومـاً علَيـهِ المظَـالِمُ

وَحِطِنَا التـي حَاطَـتْ فَأَصْبَحَ دونَها ... لَعمْـري المـواضي، والجِيَـادُ الشَّـوَاظِمُ

أبـا الله يـا مَنْصُـورُ أَنْ يُمْسِ جَارُنَـا ... تُحاوِلُـهُ في اللـذْغ مِنْهـا الأراقِـمُ

وأنّـا أُنَـاسٌ يُحَمِـدُ العَـارُ دُوننـا ... وَتُنْسِـفُهُ عَنَّـا الرِّيَـاحُ الهَـواجِمُ

أَبَـتْ لبنـي شَـيّبَان قُـبٌّ سَـوائِجٌ ... بِـأَنْ يتركـوا جَـاراتِهم، والصَّـوارمُ

وَسُمْرُ العـوالي، والقوَاضِـبُ يـا فَتـى ... ووُرّادِ حَـرْبٍ مِـنْ رِجَـالٍ ضَـياغِمُ

بشَـيْبَان يَنْجُـو الجَـارُ مِمَّـا يَخافُـهُ ... وَيَـنْعَمُ بالإِرفَـاد مَـنْ هـو عَـادِمُ

أبـى الحَسَبُ الزاكـي لِشَيّبَانَ مَعْشَرِي ... قَبـيحَ الثنابـل عِـرْضُ قَـومي سَـالِمُ

سَتَحَمي حمـى الأعـراب نَحْمِل ثِقْلَها ... إذا سُـلِمت ارماحنـا، والصَّـوارمُ

ولاَ عَجَـبٌ إنـاّ أتَينـا غريبـةً ... مـن المجـد لاَقْـت كُفْوَهـا وهُـوائِمُ

أَجَرْنـا ابنـةَ الـنّعمان، والله جارُنـا ... ونَحـنُ المجُـيرُونَ الحُـماةُ الْقَـادِمُ

ونَحـنُ حُمـاُ الحـرب في حَومِـة الَوغـا ... إذا قطعـت بالمـازِقين الحَلاقُـم

تـبرَّتْ جميـعُ العُـربِ خشـية فيلبـقِ ... بكـل دقيـق الـترب فيـه الـبراَهَمُ

حَمَينـــا عليهـــا إذ أجـــارت صـــفية فـــذلِكَ عـــزٌّ قـــد حَوَيْنـــاهُ عـــازِمُ
ولم تَلْـــقَ مِنَّـــا بَعْـــدَ مَـــا عَلِقَـــتْ بِنَـــا فيـــا قَلقـــاً فـــيما جَنَـــى الـــدَّهْرُ نَـــادِم
وَلَكِـــنْ نُلَقّـــى لشرْيِ المـــوتِ بالوفـــا فَتِلْـــكَ سَـــجَايا مَـــعْشَرِي، والمعِـــالمُ
فَـــإِنْ قـــال ذُو قَـــوْلٍ لِشَـــيْبَانَ أَخْلَفَـــت فَـــذَلِكَ قَـــوْلٌ لا مُحَالَـــةَ حَـــالِمُ
دَعُـــوا آلَ غَسَّـــانَ لشـــيبانَ غَـــيْرُكُم نُجَالِـــدُهُمْ مِـــنْ أجلكـــم ونُـــرَاغِمُ
أَلَسْـــنَا الـــذين حِطْنَـــا لَكُـــم بِرِمَاحِنَـــا عقيلَـــتكُمْ بَـــلْ أَنـــتَ مَنْصُـــورٌ نَـــائِمُ
فَـــدَعْ آل شَـــيْبَانَ يَحُوطـــوا ذِمَـــارَكُم فَلَـــيْسَ لِشَـــيْبَانَ إِلـــيكم جَـــرائِم

قال راوي السيرة: لما دخل منصور مهزوماً لم يَصِل إلى الطميح ولا أَعَلَمهُ ما ناله بل اعتَزَلَهُ، وأقام مُجانباً له واجِداً عليه لشأن إبقائه على بني شيبان، ثم إنه جدَّ عزمه أن يروح إلى الملك ويعزل الطميح من الحيرة فتوجه في رهطه خاصة حتى قدم إلى الملك بالذي معه فاستأذن له على الملك فأذن له بالدخول فدخل عليه فحيّاه بالتحية التي يحيّا بها وقام قائماً بين يديه فأذن له الملك بالجلوس فجلس بين يديه.

وأقبل منصور بن عمرو على الملك يشكو الطّميح بأَكْثَرَ مِنْ جُرْمه وكَشَفَ له عن خيانتِهِ وإبقائه على بني شيبان فَقَتلوهم، وأستأسروهم مرتين وكره أن يقصدهم بجنوده بعد أن أجاروا الحرقة وكَبر عليه حتى سخط عليه الملك وحنق واحمرّ وجهه من شدة الغضب، ثم أطرق برأسه إلى الأرض مليّا، وأمر كاتبه أن يكتب إلى الطّميح كتاباً بالعربية بالوصول، والتهددّ، والتوعد.

وقد كان الطميح منتظراً لذلك مع رواح منصور، وأنه لا يبقى عليه شيئاً فلما جاءته الرسل بالوصول ومّل التأخر عنه ترك مدينة الحيرة، وتوجه إليه في عساكره وخلىّ المدينة وبلغ علم خلائها إلى بني شيبان فشدّوا ولبسوا سلاحهم وركبوا خيلهم وقصدوها فأصابوا بقية من الغنائم مما ثقل ولم يحمله عسكر الملك فضّمهُ بنو شيبان إليهم، وأقاموا بها شهراً كاملاً وانصرفوا عنها، وتركوها خالية خاوية على عروشها بعد

أنس ونعيم عصوراً طويلة، ثم إن الطُّميح قدم على كسرى.

وقد انفتح عليه خلاف من ملك قيسارية أخذوا بعض مدائن كسرى، وأخرجوا من كان فيها من عمّال كسرى، فلما قدم الطميح على كسرى عفا عنه وسيّره في جنوده لإصلاح بلاده.

وقد كان يتبارك به، واعتاد النّصر على العدوّ به فسار الطُّميح حتى أخرج قواد ملك قيسارية من مدائن كسرى واستقر على أرضه وكتب إليه يهنئه بالظفر ويعلمه بفعله ويقول هل ما يرسم الملك الوقوف أو الرواح إليه فرد كسرى جوابه يشكر فعاله ويقول هل ترد عليها عمالها ويروح بمن معه قال فرد عليها الطميح عما لها، وانصرف بجنود الملك مظفراً منصوراً مجبوراً، وأنشأ يقول: [البسيط]

كَادَ الإِيَادِيُّ مَنْصُورٌ، وأخْوَتِهِ ... فَقَدْ لَعمري نَجَى مِنْ كَيْدِ غَسّانا

قَومٌ يُرِيدونَ في شَيْبَانَ مَهْلَكَةً ... وَجُرمُهُم أَنْ أجاروا بِنْتَ نُعْمانا

هذا جَزَاءُ بَني شَيْبَانَ عِنْدَهُم ... واللهُ يَعْلَمُ بالأَجْرام ما كانا

ضَيَّعْتُمُ الشَّرَفَ العَالي، وقد جَعَلتْ ... شَيْبَانُ غَسَّانَ أَعْمَامَاً وَإِخْوَانَا

ما كان هَذا لَعمري بالجَزَاءِ لَهُمْ ... لَكِن مَنْصُوراً أَضْحَى اليَوْمَ حَيْرَانَا

تَاللهِ عَمْري أَزَالَ الدَّهْرُ مُجْتَهِداً ... في المَجدِ أو يَنْثَني المَغْرُوُرُ حَدْثانا

قيل ولمّا بلغ الطميح إلى الملك منصوراً قد ظفر بأعدائه استقبله الملك بأحسن القبول وازدادَ عند رِفعة وجَلالَة وحَباه بأكثر الحباء وفوَّضه في جميع أموره ورفع منزلته، وأمَرَ لَهُ بعشرين بَدْرة غير الكسوات وغير الدّر، والياقوت، والجواهر، واللؤلؤ، والزبرجد، والفضة وفرش الدّيباج، وأنعَمَ عليه الملك نِعمة ما أنعَمها مِلِكٌ على قائِد أبداً يستجلب بذلك نصيحته لمعاني خدمته، والقيام بأسباب ملكه في كل الأشياء لأنه كان لا يجد به عوضاً في جميع أموره فلّما أناله ذلك النيل، وأتحفه أقبل عليه، و قال له يا طمَّيح أنت نصيحي وقسيمي في مُلكي وقائد جنودي ودعامة ملكي إذ فوضتك في جميع أموري

وجعلت مقاليد ملكي بيدك ثم أخرجتك للنّعمان بعد أن عصاني وكفر نعمتي.

وقد جند من جنود العرب ما هو أكثر من الجند الذي خرجت به لم يُخِفكَ ذلك بل لقيتهم وفرقت جموعهم، وأسرت ملوكهم، وأظفرتني ببني ماء السماء فثووا في سجني حتى ماتوا فيه من الجوع، والعطش، ثم أمرتُك تأمر في قبائل العرب صوائِحك أن لا تُجَارَ الحرقَةَ فوقفت العرب عن إجارتها واعتدت بنو شيبان أمري فلم تنزل بهم عقوبتك ولا أحللت بهم الهلاك بل أبقيت عليهم ولم تأخذهم بجرمهم وهذا شيء يدخل علينا في ملكنا الوهنة، والركة.

ثم جاءني منصور بن عمرو، وأخوته يشكون ويوضحون خيانَتَكَ فلم أقبل عليك كلامَهم، ولم أَستَمِعَ مقالتهم بل زِدْتُكَ إكراماً وإنعاماً، والآن فلابدّ في مجلسنا هذا من المناصحة فإما أن تكون معي مخلصاً فأعرف لك ذلك، وأعتقد على نصيحتك وإن كنت راغباً في مناصرة عشيرتك قبلك عذرك وكنت تلحق عنيّ بمن شئت وبمن لحقت من العرب فلا حرج عليك فلولا خصال عرفناكم بها يا معشر العرب ما استخدمناكم ولا وَسعَكُم حَبأتنا ولا عمكّم فضلنا ولا أضلّكم ظِلُّنا وذلكم وفاءُ عهدكم وصبركم في القتال، ثم أشكلت في أمرك ولم آخذك بأوّل هَفْوةٍ وزلّةٍ أتيت فأوضِح ليَ مَا عِندك فأعَتقِدُ عليه.

فقال الطّميح أيّد الله المَلِكَ إنّما جَنَّدْتُ الجنود من العرب، والعجم لجورَ ودفع الملوك الذين هُم أكفاؤك، وأضدادُك لا لأجل بَدْو، وأهل فلاة، وأصحابِ غارةٍ أنْ يُغيرُوا مع الجار، وأن لا يُسْلِمُوهُ وهم سالِمون ولا يَرومونَ اكتساب ملكه ولا إزالَتَهُ عَنْ ولاتَه، وأنت قد عرفت نصيحتي لك وصبري في الوقائع الكبار وما قَطُّ نَكَسَ لَكَ عَلَمٌ بيدي ولا كُسِرَ عسكرٌ أخرجتني فيه ولا رجعت عن عظيمةٍ نَدْبتني فيها.

وقد أخرجتني لبني ماء السماء فأبلَغْتُكَ فيهم المحبوب، ثم أمرتُ بالصَّوائِح في العرب كالذي رَسَمْتُ عليّ فتورَّعت العربُ جميعاً عن إجارتها حتى أجارتها الحجيجة حجيجة وائل.

وقد بَلَغَكَ عن حجيات العرب ما بلغكَ فَخْشيتُ أنْ أُجاهِرُهَا في جارتها فتُصَّرخُ عليَّ في العرب من قحطان وعدنان وسالف العرب، وتأتي بأمر يكون فيه فسادَ أمرك فإن رأيت أن تترك لهذه الجارية جاريتها فأفعل ذلك فبالله ما أقول لك ذلك إلا ناصحاً لا لأجل عصبيّة ولا لخيانةٍ فقال الملك لا يكون ذلك أبداً بعد إذ كسروا عسكري مرّتين وعصوا أمري.

قال له الطميُّح فما بلغك عن مَلكٍ شمر في شأن جارية بدوّية إنها كانت سبب فساد ملكه إذا جَمعت عليه العربُ من قحطان وعدنان فهل لك أن تقبل نصيحتي قال له الملك أن العرب لأقَلُ مِن ذَلِكَ فدبّر لي في شأنٍ بني شيبان رأياً حَسَناً قال له الطميح فإذا عزمت فلا تُخرج لبني شيبان عسكراً كَعَددهم لئلاّ تؤلّب الحجيجة العرب، وكلما كسر لك عسكرٌ أخرج عسكراً غيرهم فإنهم يَملّون من تكرار العساكر عليهم مرةً بَعدَ أُخرى، وأنك بعد ذلك تظفر بهم وإن أنتَ أَخْرَجتَ جنودك كلّها غَضَبَتْ العربُ جميعاً ووقعت المناجَزَة، وكانت إمّا لَك وإمّا عليك فَقَبِلَ الملك رأيَهُ، وأخذَ بقولِهِ في أن يَقْتَصدوا في التخريج فأذِنَ له بالخروج من عنده بجميع ما أَجْزَلَ لَهُ الملكُ يحملونه غِلمان الملك مع الطُّميح الأيادي.

خبر الوقعة الثالثة بين منصور وبني شيبان

قال بِشْر بن مروان الأسْدي، ثم إنَّ الملك وَجَّهَ لمنصور بن عمرو، وخَلا بـه في مجلس سرّه، وأمر بالطعَام، والشراب فأكَلاَ وشرِبا فلمّا طَابَتْ نفسُ منصور أقْبَلَ عليه المَلِكُ واستشاره في أمر بني شيبان فقال تُخرِج معي جُنْدَ الطميح فأبَلّغُكَ فيهم المحبوبَ أَقْتُلَ رِجالَهم وآخُذُ أموالهم، وأسْبيَ حريمُهم وآتيكَ بالخِرْقَةِ فقال له الملك إنيّ إن أخْرجتُ معكَ جُنَد الرّجلِ فكأنما عَزَلْتُهُ ولا أفعلُ ذلك أبداً وإنّ بني شيبان لأَلّ من ذلك غيرَ أنّي أُخْرِجُ معكَ عَشَرةَ آلاف فارس، وتنْزِلُ بهم قريباً مِنَ القوم، وتغْدوَ عليهم بالفتنة، وتروح فإن احتجت بعدها لقوةٍ أمَدْدناك بالرّجال، والأموال وعليّ أنْ أتحمل من الأزواد ما يكفيك فقال منصور قد عرفتُ لِمَنْ هذا الرأي ولست أَخْرُجُ في عشرة آلاف لأنها لا تقومُ لبني شيبان فَلَمْ يَزَل المَلِكُ في محاورته حتى وافقه على عشرين ألفاً، وأجزل له الملكُ وحباه بأموالٍ كثيرة كل ذلك ليَمتَحِنَ العربَ بالعربِ قال فعند ذلك تجهَّزَ منصورٌ وخرج في جميع عساكره لبني شيبان قيل وإنّ الطُميّح قَدَّمَ إليهم بريداً مِن قِبله يُعْلِمُهُم بعَدَد القومِ ويأمرهم أنْ يَسْتَعدّوا ويَحْذَروا الوحدة.

فلما جاءهم الرسولُ، وأخبرهم أوقفوهُ بينَ يدي صفية فلما أخبرها الرسول أن منصوراً توجه إليهم في عشرين ألف فارس أنشأت الحجيجة صفّية بنت ثعلبة تقول:[البسيط]

مَاذا أُحَادِثُ مِنْ عِشْرِيْنَ يَقْدِمُهُمْ ... مَنْصُورٌ في حَيّ غَسّانَ على نُجُبِ
مِنَ الجِيَادِ عليها الحَيُّ مِنْ يَمَنٍ ... والعُجُمُ تَرفُلُ في المَاذِيْ، واليَلَبِ[1]
وَعِنْدِي الأَفْقَمُ الهَمَّاسُ في فِتْيَةٍ ... مِنْهم ظَلَيمٌ وعَمّارُ بْنِ ذي كَرَبِ
وَعُقْبَةٌ وَعَبّادٌ، والرَّبيْعُ إلى ... ذِي الفُرّةِ الفَارِسِ الحَمّالِ بالكُتُبِ
والصَّلْتُ مع سَالمٍ، والمالكان مَعَا ... وَمُسْلِمٍ بَعْدَ بِكْرِ الفَارِسِ الأرِبِ

---

(١) اليلب: من أسلحة الفرسان تلبس على الرؤوس، تصنع من الجلود، اللسان (يلب).

وَنَــافِعٌ وَعُمَــيْسٌ، والمــرّوحُ في فُرْسَــانِ شَــيبانَ لا مِيْــلُ ولا عَضَــبِ
والأَعْوَصَــانِ وَعَــوافٍ، وأحْسُــبُهم وَابـن المسّيبِ مُرْدي الخيـلِ بالقُضُـبِ
يا عمرو يا عمرُو أجبني يـا ابْنَ تَغْلَبَةً يــا شُـبْهَ بُـرَاقٍ يَـوْمَ القَـتْلِ، والسَّـلْبِ
لأجـل عِشْرِيْـنَ ألفـاً أَصْـحَ صَـارخةً في آل بَكْــرٍ وذا شيءٌ مِــنَ العَجَــبِ
لا تكشــفوني بهــذا اليَــوْمِ وارْتَقِبُــوا يَـومي لِوَقْتِ اِجْتِمَاعِ العُجِمْ، والعَـرَبِ

قال رواةُ هذه السّيرة لما ذَكَرتْ صفيةُ فرسانَ هـذا الكتـاب بأسمائهم كـان أوّلُ من أجابها أخوها عَمْرُو، ثم لم يَبْقَ رجلٌ إلاّ، وقد أجابَها وقالوا علينا لا نُحوجُكِ في هذا إلى صارخ بل نحن نكفي ونستقيم فافْتَرَقَ القومُ في إصلاحِ شأنهم واستعدوا للصباح، ثـم إنّ منصوراً صَبَّحَ القـومَ فـوافَقَهُمْ حَـذِرينَ فتعجَّب مـن ذلـك، وكـان إذا أراد غِرَّتَهمْ لم يُمكِنَهُ اللهُ من ذلك، والتقى القَوم فاقتَتَلُوا قتالاً شديداً حتّى مالَ الضُحّى وافتَرَقَ الحَيّانُ عن قَتل وجُراحٍ ونادى عمرو بالبَراز، فبرزَ إليه هِرَقِلٌ من عظماء العَجم، وأشدِّهم بَأساً، وأقواهَمْ مِراساً.

وكان له غَبَبٌ[1] قد نزل على صدره فركبّ سهماً على، وتـر قوسـه فرمى بـه عمراً فأصابه وانثنى عمرو بسيفه وحمل عليه حين أصاب السهم عمراً، وأنفذ إليه مـن درعين حتى كَلِمَ في صدره.

ثم ركبّ السّهم الثاني ليرمي به عمراً فعالجه عمـرو فضربـه فجدّلـه صريعـاً وضرب فيله فعقره قال حاضر الوقعة فما كنا ندري نسمع أكثر زعـاق الفيـل أمْ خُـوار العجمي قال رُواة هذه السّيرة، وتعاطف الحيَّان بالحملة فوافق ذلك أبو جدابة التغلبي وذلـك أنّ رقبته جـاءت عـلى المضـايقة فشـدُّوا أصـحابه، وأغـارُوا إغـارة سريعـة، وأحمـوا الخيـل بالسياط فجاءت وهي تصّبب عرقاً، والتقى النّاس فاقتتلوا قتالاً شـديداً وولّـت العجـم وحافظ منصور في رهطه ولم يولّوا إلاّ بعد صبر مذكور وجلاد مشكور، وفي ذلك يقـول

(١) الغَبَبُ: ما يتدلى من الحنك، اللسان (غبب).

نافع بن عمرو الشيباني:[الطويل]

سَلِ الحَيَّ مِنْ غَسَّانَ يَوْمَ تَذامَرَتْ ... جِيَادُهُم بالرَّقمتَينِ وَكَرَّتِ

وَقَارَبَ شَيْبَانُ الأَعَاجِمَ وابْتَدَتْ ... بِضَرْبَ الطَّلي فُرسانها واستَحرّتِ

أَلَمْ تقرهم شَيْبَان ضَرْباً مُنْكَسِرا ... وَتَنْظُمُ أكْبَادَ العِدَا بالأسِنَّةِ

حَمَلنا عَلَيهم حَمْلَةً فَتفرقوا ... أُسُودُ وَغَاً في عَارضٍ كالدُّجِنَّةِ

بِكُلِّ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ وَذَابِلٍ ... وَمِغْوَرَةُ قُبٌّ سِنُراع الأَعَنَّةِ

نُحَافِظُ عَنْ أَعْراضِنا وَحَرِيْمِنَا ... لِشَأنِ ابنةِ النُّعْمَانِ لَمَّا استَقَرَّتِ

نُجَوِّرُ في جَارٍ مَنِيْعٍ مُحَوَّطٍ ... وباتَتْ على حُسْنِ الجِوار وظَلَّتِ

عَزِيْزٍ على الفُرسيّ كِسْرَى مَذاها ... وَعَنْ يَدِ مَنْصُورٍ تَعَلَّتْ وَجَلَّتِ

ثَوَتْ في قَرَارِ العِزّ ثم تَربَّعتْ ... بِسَاحَةِ بَيْضَاءَ ذَاتِ عِزٍّ وَحُرَّتِ

أَجَرْنا وَخَاطَرنا على الموتِ إِذْ وَنَتْ ... جَميعُ البَرَايَا في الجِوَار، وتلَّتِ

فلم تَرْعَ حَيًّا غَيْرُنَا ليجيرها ... إذا قَدِمَت أُولى الجُنُودِ وَوَلَّتِ

فَكَمْ قد وَعَرنا خَيْلَ كِسْرَى ولم تَقِفْ ... وَأَقْسَمَ مَنْصُورٌ على هَتْكِ حُرْمَةِ

وَدبّرنا بالكَيْدِ بالله بُرْهَةً ... وَصَوَّبَ بالطَّعناءِ صَوْبَ الأَجِنَّةِ

فَتَبَّتَّ ابنُ عَمرو كافِراً غير شَاكِرٍ ... لِقَومٍ أجاروا أُختكُم حِيْنَ فَلَّتِ

وطافَتْ بِأَحْيَاء الأَعَارِبِ كُلِّهَا ... فَلَمْ تَلْقَ حَيًّا مُستَقِياً لمنحبتِ

سِوَى الحيّ من شَيْبَانَ لَمَّا تعرضَتْ ... فَتَاةُ بَني عِجْلٍ وَقَامَتْ وَلَبَّتِ

نِدّاً لابنةِ النُّعْمَانِ لَمَّا تَحَيَّرَتْ ... عن الطَّعْمِ أحياناً وبالرِّيْقِ عَصَّبتِ

وقال بِشْرُ بْنُ المروح الشيباني:[الطويل]

عَفَتْ دَارُ سَلْمَى واستَحلَّ المَعالِماَ ... فَأَنْكَرْتُ مِنْهَا عَهْدَها المتَقَادِمَا

خَلَـتْ حُجَجَـاً بَعْـدَ النُّـوَارِ، وترْبهـا		فَلَسْـتَ تَـرَى إلاَّ الأَثَـافيَ جَـواثِما

بَكَيْـتُ بهـا عَصْرَ الهَـوَى ونعيَمهـا		فأبكَيْـتُ بكُائَهَـا وحَمَـائِما

بَكَيْـتُ ومـا تُجْـدي عَـلَيَّ صَـبَابَتي		وَقَـدْ فَـاتَنى الـعَصْرُ الـذي كُنْتُ نَـاعِما

لَيـالِيَ رَوْضُ الـرَّأْسِ أَسْـودُ فَـاحِمٌ		وَأُعْصِي عـلى حُـبّ النّـوَار اللّـوائِما

فَأَصْـبَحْتُ كَهْـلاً لا يجـاورني الصِّبَا		نَعَـمْ، وتبـدَّلَتِ القَنَـا، والصَّـوارِمَا

وَغَـارَةُ فُرْسَـانٍ عـلى ابنـةِ مُنْـذرٍ		وَأُقَيْلَـةَ تَحْكِـى السُّـفَيْنَ الحَلائِـما

وَحَبَّـذَاً، وأعْرَابَـاً أَمَـامَ بُيوتنـاً		مُجَنَّـدةً، والهِـرِقْلِين الأَعَاجِمَـا

ولمـاَّ أَتانَـا عَـنْ صَـفِيَّةَ أَنَّهـا		أَجَـارَتْ عـلى كِسْرَى أَبَحْنـا الجَماجِمَـا

هُنَـاكَ وَحَرّمنـاً البُيُـوْتَ، ومـن بهـا		أَبَحْنـا نُفُوسَـاً وَاحْتَمَيْنَـا المحَارِمَـا

أَجْنـا عـلى طِيْـبِ النُّفُـوسِ، ومـن يُجْـرِ		إِجَـارَةَ عِجْـلٍ لم يَعُـدْ قَـطُّ نَادِمَـا

وَلَـوْ ذَهَبَـتْ أَرْوَاحُنَـا وَحَرِيْمُنَـا		وَلم يَبْـقَ مِنَّـا في القَبَائِـلِ سَـالِمَا

لانمـمَ بِرضـوا الـبلادَ حلولـة		وقـد أَيقَظـوا الهَوْلَ الـذي كَـان نـائِما

فـلا نَـدَمٌ مِـنْ بَعْـدِ تِلْـكَ ولا قِـلاً		لِوَقْـعِ الظُّبَـا حَـزّاً يَجِـزُّ الحلاقِـما

إذا غَـابَ عَنَّـا جَحْفَـلٌ جَـاء جَحْفَـلٌ		يَهُـزّونَ أَسْـيَافاً تَجِـزُّ الغلاصِـما

وقال مسلم بن زهير الشيباني في ذلك اليوم: [الطويل]

أَجَرْنَـا ابْنَـةَ الـنُّعْمَانِ خُرْقَـا وَلَـيْسَ مَـنْ		يُخَـاطِرُ عـلى عِلْـمٍ مِـنَ الهَـوْلِ يَنْـدَمُ

ولَـو ذَهَبَـتْ أَرْوَاحُهُـم وَدِمَـاؤُهم		لكَـان مُباحـاً فيـه مـا كَـانَ يَحْـرُمُ

فَصَـبْراً بنـي شَـيْبَانَ فالصَّـبْرُ فِـيكُم		قَـديماً وَشَـانَ الجَـارَ فِـيكُم مُكَـرَّمُ

وَعِنْـدَكُم الكُمْـتُ السَّـلاهِبُ، والقَنَـا		فَحُلُّـوا لِـتَرْدَادِ الحقُـودِ وخَيِّمُـوا

سَـأَتِيكُم، وتـرُ الجُنُـودِ وَشَـفْعِهَا		يرابـع في عُقْبَـى الأُمُـورِ وَيَحْكُـمُ

ولابُدَّ أَنْ يَأْتِيَكَ كِسْرَى بِنَفْسِهِ بِدَاهيتِهِ إِنَّ ذَلِكَ مُعَظَّمُ؟

ألا فاستعدّوا للبَلاءِ وَحلَولَهُ لِيَومٍ تَظَلُّ السُّمُّ فِيْهِ تَحطِمُ

وتُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ الخَبَاءِ صَفِيَّةٌ وَيُخْلَطُ فِيْهِ الفَرْثُ، واللحْمُ، والدَّمُ

وَيَسْوَدُّ فيه كُلُّ أَبْيَضَ زَاهِرٍ وَتَرْهَمُ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ، وتعْتَمُ

وتَحْمَرُّ بِيْضُ الهِنْدِ في نقبْاتِها وَذَلِكَ تَقْدِيْرُ الذي أَنَا أَزْعَمُ

ألا يَالَقَومي فاستِعِدّوا لِصَمَّةٍ وهل لأنو شِرْوَانَ كفوءٌ فَيُنْعَمُ

إذا ما أتى، والأرضُ تَشْكُو رَحِيبَها عَسَاكِرُهُ، والجوُّ شَبْعَانُ مُظْلِمُ

فَلَيْسَ لَهُ إلا مَعَدٌّ جميعُها فَقُومُوا إليهم صَارِخِيْنَ وَقَدِّموا

وَإِنْ لم تَقُومُوا تَنْدَمُوا بَعْدَ هَذِهِ نَعَمْ، وتقُولوا قَدْ أَشَارَ مُسَلَّمُ

فَلَيْسَ يُلاقِي الكفُؤُ إلا بكُفْوِهِ ولا يَزْجُرُ الضِّرْغَامُ إلاّ الغَشَمْشَمُ

وقال الحارث بن قسيم الشيباني في ذلك: [الطويل]

ألاَ طَرَقَتْ أَسْمَاءُ قَلْبَاً مُتَيَّماً فَهبَّتْ إليها شائِقٌ وَمَشُوقُ

ألا تِلْكَ أَحْلامُ الخَيَالِ كَوَاذِبٌ فَلا تَطْمَعَنْ إِنَّ الطَّاعَةَ زُوُقُ

أَسْمَاءُ لو عايَنْتِ يَوْمَ رَقِيْمَةٍ لأيْقَنْتِ أَنِّيَ نَاصِحٌ وَصَدِيْقُ

وأنِّي لما أَمَّلْت يَا أُمَّ مَالِكٍ مِنَ الوَصْلِ أَيَّامَ الوِصَالِ خَلِيْقُ

أفي كُلِّ يَوْمٍ جَحْفَلٍ في دِيَارِنَا وَأَلوِيَةٌ تَعْلُو البِقَاعَ خَفُوقُ

يُرِيْدُ اِبْنَةَ النُّعْمَانَ حَرْقَا ودُونَها تَوَادُدُ طَعْنٍ بِودْهِنَّ حَرِيْقُ

نحُوطُ بِضَرْبِ البِيْضِ جَارةَ أُخْتِنَا وَنَسْمُو على كُلِّ الوَرَى ونَفُوقُ

نَشُبُّ وَنَصْلاهَا، وتعْلُو كُماتُها نَذُودُ جُمُوعَاً عُجْمَهُا وَنَسُوقُ

ونَحنُ لَعَمْري الفَائِقُونَ بِصَبْرِنا لِدَاهِيَةٍ تَنْتَابُنَا وَسُرُوقُ

لهـا كُـلَّ يَـوْمٍ عـارِضٌ وَهُـو مُمْطِـرٌ ... لَـهُ أرْعُـدٌ في أرْضِـنا وَبُـرُوقُ

تَـرُوْحُ ويـأتي بَعْـدَهَا رَيـحٌ حِرْجِـفٌ ... وَفِيْهَـا ضِـيَاءٌ سَـاطِعٌ وَنَعِيْـقُ

طَمَاطِـمُ عُجْـمٍ خَـرَّبَ اللهُ دارَهُـمْ ... وَمَنْصُـورُ فـيهم صَـاحِبٌ وَصَـدِيْقُ

عـلى أنَّنـا أوْلَى الأنَـامِ بِـنَصْرِهِ ... فَلَـو أنَّـه فـيما يُرِيْـدُ خَلِيْـقُ

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك اليوم: [الطويل]

جَنَيْنَـا فَصَـبْراً للجنينـة إنَّـمَا ... أجَرْنَـا التـي قَـدْ طُرِّدَت في الأعَـارِبِ

فأُقْسِـمُ لا قَامَـتْ لهـا العُـرْبُ بَعْـدَها ... ولـو جَمَعَـتْ مِـن شَرْقِهَـا، والمَغَـارِبِ

فَقَـدْ صِرْتُـمُ للَهْـولِ، والهـولُ فِـيْكُمُ ... مُقِـيْمٌ فَـلا أدْري بِتِلْـكَ العَواقِـبِ

سِـوى أنَّنـا نُلْقـى ونُفـتِنُ دائبـاً ... لإبْـدَاءِ عُـذْرٍ مِـنْ مَلامَـةِ صَاحِبِ

سَـتَأتيكمُ مِـنْ بَعْـدِ هَـذَا كَتَائِـبُ ... كَمِثْـلِ الـدَّبَا أو كَاتِّبَـاعِ سَـحَائِبِ

وَقَـوْمٍ يُرِيْـدُونَ النِّكَايَـةَ فِـيْكُمُ ... مُلَبَّسَـةً في السِّرِّ وَفَـوْقَ المَنَاكِـبِ

تَقَـبُّ تهافـاً بالحديـد حَسِـيكها ... عَتِيْقَـاتٌ سَـامَى السَّـعِيْرِ النَّقَايِـبِ

بنـيَّ فَـلا يَغْـرُرْكُم اليَـوْمَ مِـنْ غَـدٍ ... وَزِيْـدُوا هُـديتُمْ في عُلُـوقِ السَّـلاهِبِ

فَلَـيسَ أنـوشَرْوَانَ كِسْرَى بِعَـاذِرٍ ... لحـيّ بنـي شَـيْبَانَ مِـنْ كُـلِّ تَائِـبِ

ولا الشَّـيْخُ مَنْصُـورٌ بِعَـاذِرٍ نَفسِـهِ ... عَـنِ الكَـرِّ، والآدابِ لَـيْسَ بِغَائِـبِ

فإيْهَـا فَـمَا ذُو حَـاجَتَيْنِ كَحاجَـةٍ ... ولا رَائِـحٌ فـيما تَـرَوْنَ كَغَـارِبِ

وأنيَ لَـدَارٍ في الأُمُـورِ مُجَـرَّبٌ ... خَبِـيْرٌ لَعمـري بـالعُرُوْقِ الضَّـوارِبِ

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك: [الطويل]

أَجَرْنـا ابنَـةَ الـنُعمان وَيكْـكَ، ومـن يُجِـرْ ... يَحِـلَّ عـلى ضَـوْءِ السِّـماكَيْنِ، والـنَّسْرِ

يَبِيْـتُ قَرِيْـرَ العَـيْنِ يُصْـبِحُ آمِنـاً ... ويَحلـو لَـهُ دَرُّ اللقَـاحِ مَـعَ التَمْـرِ

وَكَيْفَ يَبِيْتُ الجَارُ عندي مُرَوَّعَاً وَقَدْ حُطْتُهُ مِنْ كُلِّ نائبةِ الدَّهْرِ
أَقِيْهِ بأفراسي وَخَيْلِ بَني أَبي وَأُفْدي بِصَدْرِي ما يُحَاوِلُ مَع نَحْرِي
فطيبي ابنَةَ النُّعْمَانِ نَفْسَاً وخيمّي على شَعْفَاتِ العِزِّ أو يَنْقضي عُمْري
أَحُوْطُكِ مِنْ كِسْرَى، وأكْسُرُ جُنْدَهُ وَدونَكَ عَدْوى بالمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
سَنُوليك مانُولي صَفِيَّةَ أُخْتِنا من العزّ، والإكرامِ، والفَضْلِ، والبِشْرِ
لا مِنَّةٍ مِنَّا عَلَيْكِ لتقتضي بها مِنّةً أُخرى لنائبةِ الدَّهْرِ
وإنّكِ بَعْدَ اليَوْمِ غيرُ فقيرةٍ أُجيرُكِ من شَرِّ الأكاسِرِ، والفَقْرِ
لَكَ الألفُ من سُودِ اللقاحِ وَزَهْرِهَا نَعَمْ وكِيارٌ من عِشَارٍ، ومن حُمْرِ
بِرُعْيانها تأتي إليكِ، وأنّها تَمَامُ السَّجَايا وَاجِبَاتٌ على الحرِّ
وَعِنْدي لها العِزُّ الرَّفِيْعُ مع الوَفَا وَعِنْدِيْ لها الإكرامُ في سَاعَةِ العُسْرِ
وَلَسْتُ أُبالي أَنْ أَكُوْنَ وَقَاً لَهَا إلى يَوْمِ أُثْوَى في مُغَيَّبَةِ القَبْرِ
أبى اللهُ بَعْدَ اليَوْمِ تُدْعى غَرِيبَةً وقد ضَمَّهَا في سَاحتي يا فتى حِذْري
كَذلكَ بَعْدَ اليَوْمِ ما شِئْتِ فاطلُبي وَنادي إذا ما رُمْتُ شَيئاً إلى عُمْرِ
فإنّكِ عندي في السَّلامَةِ، والعُلا وإنّكَ في حُسْنِ الحَدِيْثِ مع الذِّكْرِ
وَمَا الجَارُ إلاّ بالمكارم نَازِلٌ وَيرْحَلُ بالمعروفِ مِنَّا وبالشُّكْرِ
ألا أَبْلِغَا كِسْرَى مَعَاً وَجُنُوْدَهُ بِأَنَّ إبْنَةَ النُّعْمَانِ في الحَيِّ مِنْ بَكْرِ
على خَيْرِ حَالٍ في السَّلامَةِ، والعُلا تَبِيْتُ على بَرٍّ، وتضْحَى على بَرِّ
ولو سِرْتُم لي بالخليج لأجْلِهَا رَكِبْتُ بها فوق السَّفِيْنِ على البَحْرِ
وما سُفْنَنا غيرَ القَواضِبِ، والقَنَا إذا ماركِبْنَا فَوْقَ مِغْورّه ضُمَّرِ

قال بشر بن مروان الأسدي: وإن عمرو بن ثعلبة أمر لأشراف قومه فحضروا إليه

فسألهم الركوب معه إلى شهاب بن نُويَرة التَّغْلبي فلما وصلوا إليه استقبلهم شهاب بأحسن القبول، وأمر أن تُعقر لهم الكُوْمُ من الإبل على عدد القوم ويصبح في الناس أنها مباحة للقوي، والضعيف فعل ذلك كرامة لقدومهِ عليهِ، ثم قَراهُم من لحوم مسَّمنة الكِباش، والدقّيق وسقاهُمُ الرحيقَ، وأقامُوا عنده عشرة أيام، ثم كَشَفَ له عمروٌ عن حاجته، وأنه قد وَعَدَ الحَرَقَةَ في شِعْره بألف راحلةٍ من خيار الإبل وسأل شهاباً الرّكوبَ معه لَيْختَارَ لها من إبله ألف راحلةٍ فأوْجَبَ شهابٌ سُؤَالَهُ وركب معه في جماعة من أكابر قومه فيهم أبُو جدابَةَ.

وكان نقيباً في العرب فوصل عمروٌ وشهابٌ، وأبو جدابة وجميعُ أصحابهم فأمر لهم عمروٌ بخباءٍ فَضُرِبَ، ثم أقاموا عنده حتى قضى من كرامتهم وَطراً، ثم وسطهم عمرو في نُعَمه وشهاب يميزُ من كل إبلٍ خيارها حتى استوفى للملكةِ ألفَ راحلة من خيار إبل عمرو، وأتْبَعُها من الرُّعاء ما يكفيها من العبيد، والإماء.

ثم أمَرَ بها عمروٌ إلى الملكة، وأعْلَمُوها بالقصّة وبقى مع عمرو أراذِلُ إبله فَزَعم الثِقَّات من أهل هذه السيرة إن إبِلَ عَمْروٌ بارَكَ اللهُ فيها حتى لم تَسَعْهَا المسارحُ وذلك أن عمرو بن ثعلبة بعد أيام ذي قار توسم موسم عُكاظَ في رجال من قومه وواجه رسول الله (ﷺ) فتبسمَ في وجهه عن محبةٍ ورغبةٍ في دينه، وتحدّث معه حتى طَوّلا في الحديث فمن ذلك دَعا له النبي (ﷺ) بالبركة في إبله فكان عمروٌ يُرْفدُ منها ويَعْقِرُ لضيفه ولا تزدادُ إلا ثروةٌ وبركةً.

قال بشر بن مروان، ثم إن منصور بن عمرو الغسّاني لمّا وصل إلى المِلكِ مَهْزُوماً، وقد قُتِلَ من عسكره من قُتل فغمَّ ذلك المِلكُ وهَمَّ أن يَخْرُجَ بنفسه إلى بني شيبان بجميع عساكره، وأرادَ أن يَرى رأي الطميح فوجه إليه فحضر فقال هل يا طميح قد جُلَّ الخَطبُ في هؤلاء فما الرأيُّ عندك قال الرأي أن توجه إليه رسولاً ناصحاً أميناً يتصفحّ القوم ويكثر الإقامة عندهم ويسأل هل وفدهم أحدٌ من العرب غير أبي جدابة فإن كان ذلك عرف من هُوَ وإن لم يكن سواهم بعث منصور في ثلاثين ألفاً فوافقه الملك على

رأيه.

وقال له عليٌّ مَن قومك برجل ترضاه ممّن يَعرفُ العرب فأتى الطميح برجل من قومه فأوْقَفَهُ بين يدي الملك فأعطاه الملكُ عطيّة يرضاها، وأحَسَن إليه، ثم إنّهُ أوصاه لما أرادَ المسير ولم يُوضحِ الطميحُ للرسول غيرَ النصيحة للمِلك وانصرف الرسول لشأنه وجلس الطّميح عند الملك غروب الشمس وخرج من عند الملك فوجه إلى بني شيبان رسولاً ثقة من خواصهِ فقال له تُحِثُّ في سَيْرك حتى تُسبقَ الرسول الذي من قبل الملك إلى بني شيبان، وتنْزِل بعمرو بن ثعلبة، وتقريهِ سلامي، وتخْبُره بالرّسول الذي أُرسل من قِبَل الملك.

ومن أيّ شيء أُرسِلَ فيُغَيِّبوا جيادَ خيلهم وَيغْضَ رجالهم ويأمر إلى شهابَ بن نويرة من يعلمه بخبر الرسول ليأمر إليهم أبا جدابة في قلّةٍ من خيلهِ وقباحة في زيّه ويخل قريباً من طول إقامة رسول الملك فإذا جاءهم رسول الملك فَلْيُرفِقوا به ولا ينكروهُ، ويعاشرونه معاشرةً جميلةً وُيكرموا مَثواهُ ولا يسألوه من أي موضع قَدِم ولا عن حاجته ما هي ليَطمئنَّ بهم ولَيَقْضي عندهم من الإقامةَ وطَراً ويرجَع إلى الملك بتَهوْين الأمرَ فيهم وَعلّم رسَوله طريقاً يعدل فيها عن طريق رسول الملك فتوجّه رسوله وسارَ سيراً حثيثاً حتّى سَبَقَ رسول الملك إلى بني شيبان، وأقْرأهُم سلامَ الطُميْحَ، وأبلَغَهم رسالته فوجهّوا إلى شهاب فأخبرُوُه فبعث إليهم أبا جُدابة في عُجْفٍ من الخيل ورثاثة من السلاح ورجال من ضعفاء قومه فأنَضّموا قريباً من قومه ورتّبوا للرسول الترتيب الذي رسم للطميح الإيادى.

وقدم عليهم رسولُ الملك بعده فنزل بعجوز منهم كالضيف المسافر فقدَّمتَه، وأكَرَمتْهُ وشكى إليها المرض فقالت له أَقِم عندنا مرحباً بك حتىَ تبرأ من سَقَمِكَ، ثم اغِدِ حيث شِئت فأقام عندها على البّر، والكرامة يَسْأَلها عن قومها وعدد خيلهم فقالت هؤلاء قومي وهذهِ خَيْلُهم تَراها قُدّام عَيْنَيكَ وسألها من أَمَدّهُم في وقائعهم قالت رجل من عشيرتنا تغلب يقال له أبا جدابة فسألها عن موضعه فأومت له إلى مكانه.

وكان يغدو يتصفّح قومها ويرجع إليها فأقام يتأمّل قومها يوماً بعد يوم وهو لا يرى قوة موجبة فأطال الإقامة فلما طال مكثه عندهم ولم يَرَ غَيرَ الذي يراه شدَّ على راحلته وودَّع العجوز وانصرف راجعاً إلى الملك فلّما وصل نزل إلى الطميح أولاً فسأله واستبحثه كرجل لا يعرف ما تمَّ فَهوَّن أمرَ بني شيبانَ، وأمر أبي جدابة فأطرق الملك مُفكراً في أمر بني شيبان وكيف يَهزمون الجنود كرة بعد أخرى وهم في قِلّةٍ من العدد، ثم رفع رأسه إلى الطميح فقال يا عجباً من هؤلاء شرذِمَةٌ قليلون كيف يهزمون الجنودَ مرّة بعد أُخرى فقال الطميح إنهّم يقاتلون دون أموالهم وحريمهم وجارتهم.

وليسَ مَنْ يقاتل عن مثل الذي يقاتلون عليه ينوي فراراً فأجمع رأي الطميح ورأيُ الملك أنْ يُخرِجوا لهم ثلاثين ألفاً فأخرَجَ المَلِك منصورَ بن عمرو بثلاثين ألف فارس وسارَ فيهم، ثم إنّ الطميح قَدَّمَ إلى بني شيبان رسولاً ينذرهم ويخبرهم بعدد القوم ويأمرهم بالصّارخ في عشائرهم فلما جاءهم النذير أوقفوه بين يدي صفية واستشاروها في أمر الصّارخ فكرهت صفية ذلك، ثم إن القوم استَعَدّوا للصّباح ولزموا مضايق الطريق هُمْ، ومن مَعَهُمْ فَصَبَّحُهم منصور في جيش لجب عظيم.

ذكْر الوقعة الرابعة بين بني شيبان وجُند كسرى

قال: وإن القوم لما قَرِبوا من بني شيبان خَرجَوا عليهم من المضايق، وكان الجند قَصدَهم كتائب متشعّبةً فاستقبَلتْ كل فُرقة من بني شيبان فرقة من جند كسرى فالتقى القوم، وكان أوَّل من هَزَمَ مِن قِبله عمروُ بن ثعلبة، ومن معه، ثم أبو جدابة، ومن معه وكان من فرسان الخيل، ثم أرْدف الرَّجُلان من قومهما فوّلى جند الملك على أعقابهم لاَ يلْوي بعضهم على بعض ومنصور بن عمرو يدعوهم في آخرهم هو ورَهطُه فصبَروُا صبراً حَسناً، ثم كُسرِوُا وولّوا خَلفَ أصحابهم بعد قَتلٍ وجَرْح، ثم إنّ منصوراً ورهطهُ لم يدخلوا مدينة الملك.

قال: ثم أرسل منصورٌ إلى الملك يشكو إليه جُندَهُ فحَنَق الملك واحَمَّر وجْهُهُ من شدة الغضب فأمَرَ بأَخْذِ خيلهم وسلاحهم وسجن منهم طائفة، ثم أخَرَج معه أربعين ألفاً من غيرهم وسارَ فيهم منصور بن عمرو، قيل إن الطميح قدّم إليهم رسولاً يُعْلمهم بعدد القوم وبأخْبارِهم.

ذكرى الوقعة الخامسة بين بني شيبان وجند الملك

قيل، وإن بني شيبان لمّا جاءهم رسولُ الطميح بأنّ الملك سَيَّر إليهم منصور بن عمرو في أربعين ألف فارس فحينئذ وَطّنوا أنفسَهُم على الهلاك واستعدوا له، وأن منصوراً أوجس في نفسه أنه يُنْذر به وبمسيره إليهم في كل كَرّةٍ وذلك أنّه كلما قَصَدَهُم أتى وهم حَذِرون فسار في سفره ذلك سيراً رفيقاً فأرادَ أن يأتيهم على غِرّةٍ.

وكان يُقيم في طريقه على الموارد اليوم، واليومين وقدم في أوّل خيله وجند خيلاً من مقاتلتهم. قال: وإن بني شيبان استعدوا وكانوا كل يوم ينتظرون القصد، والصّياح فلم يأتهم أحد فعجبوا من ذلك عجباً شديداً وفكروا في أمره فعلموا أنه يريد مَكرَهَم، وأراد أن يُملهّم الاستعدادُ ويدخل فيهم التَّواني ويأخُذَهُم على غِرّةٍ فعند ذلك ركب عمروُ بن ثعلبة في فُرسانٍ من قومه مُنْتَدَبةً من صناديد قومه على أوّل مرّة وساروا حتى صادفوا في طريقهم خيل منصور التي قَدَّمها فواقعهم عمرو، وأصحابُه واقتَتَلوا ساعة وانهزمت خيل منصورا، وأتبعها عمرو حتى أشرفت على السَّواد فلقي عسكراً هائلاً، وأقبل على أصحابه.

وقال لهم ارجعوا إلى قومكم فأنذِروُهم واستعِدّوا للصيّاح، وأنا أتخلّف، وأتى في أول القوم فانصَرفوا عنه، وتأخّر فبات حول الجند ينظر فيهم ويحمل على أقطارهم، ثم إن منصوراً لما أصْبح عَبّأ عساكره وصَبَّح بني شيبان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى مال الضحّى وافترق الحيّانُ وبرز عَمروَ بن ثعلبة ونادى ببراز منصور بن عمرو، فعند ذلك صاح منصور بالجملة وحملوا على بني شيبان فجالَت فُرسان شيبان جَوْلةً قبيحةً وصَبرتْ فرسانهمُ المعدودةُ في الكتائب مع عمرو بن ثعلبة وثبت أبو جدابة، ومن معه من فرسان قومه من تغلب ولم يُولّوا دبراً، وأشرفْتَ صفيّةَ على قومها فعطفوا واقتتلوا ساعة مليّة وافتَرقوا.

قال بشر بن مروان الأسدي: ثم إن عمرو بن ثعلبة برز بين الصَّفين ونادى ببراز منصور فبرز إليه وقال يا عمروُ إنّك لَفي غِرَّة من عَيْشِكَ وميعةٍ من شبابك وغَرّكَ من

المرة الأولى ما غرَّك فسترى مني عجباً وصبراً حسناً، فقال له عمرو، والله ما حُطْنا إلاّ حريمكم ولا حمينا إلاّ ذماركم، وقد كان غيركم أحقّ بهلاكنا، وأنتم أحقّ بنصرنا، ثم لابُدَّ من الاستقامة، والخروج من الملامة فعند ذلك حَمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه كالأَسَدين المُغْضَبين واقتتلا قتالاً شديداً وافترقا عن حالاً سلامة فأنشأ منصور يقول:[الرجز]

أَنَا أَفْرَسُ الفُرْسَانِ، والأَبطَالِ وَأَعْرَفُ الهَيْجَاءُ، والقِتَالا

وَأَحْكَمُ الطِّعَانِ، والنِّزَالا مُشِمرًّاً أَرْكَبُ الأَهْوَالا

سَوْفَ تَرَى يا عَمْرُو مِنِّيَ حَالاً حَالاً كَرِيْهاً نَائِلاً مَنالا

فأجابه عمرو بن ثعلبة يقول:[الرجز]

اِصْبِرْ سَتَلْقَى بَطَلا قَتَّالا يَسْحَبُ مِنْ مُضَعَّفِهِ أَذْيَالا

يَغْشَى الوَغَا وَيَرْكَبُ الأَهوالا وفي اللقاءِ يُغضِبُ الرِّجَالا

بِهَزٍّ صَافٍ حَدُّهُ صِقَالا والزَّاعِبُ المُثَقَّفُ العَسَّالا

ثم أنّ الرجلين تعاطفا في الحَملة واقتتلا قتالاً شديداً واختلف بينهما ضربتان سبقه منصورٌ بالضربة فأخذها عمرو بالحجفة فانثنى سيف منصور وعطف عليه عمرو بالضربة فاتقى منصور بالحجفة فقدّها نِصفين، والبيضةَ، والرفائد وفَلَقَ هامته ونادى أبو جدابة بالحملة فحملت خيل أبي جدابة وخيلُ بني شيبان على السّواد فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم جندُ كِسرى أقبح الهزيمة واقتلع الحيَّان من تَغلب وشيبانَ من الخيل، والفيلة، والسلاح جزيلاً وراح جند الملك، فلما أصبحوا انقلبوا إلى خلال بني شيبان وطلعوا عليهم فحينئذٍ ترجلّوا عن خيولهم وقادوا بأرسنها لِتطْمَئنّ بنُو شيبان، ثم سألوا عن خِباء عمرو بن ثعلبة فأتَوهُ فاستَقَبلهم بأحسن القبول ووضعوا أيديهم في يد عمرو واجتمع إليه أشرافُ بني شيبان واعتذروا إلى بني شيبان.

وقالوا يا بني شيبان إليكم المعذرةُ من سُوء فِعلِ منصور فبالله لقد احتويتم على فعل

المكارم وحَميتُم المحارمَ، وأجرتم على من لم تُجِرهُ العربُ فأصبحتم معروفين بفعلكم مذكورين بفخركم جيلكم عال وجَدّكُمُ مُتعال.

ولقد كنّا أحقُّ بنصركم غيرَ أنه غَلَبنَا منصور بلجاجةٍ فكرهنا مَنيّته بأيدينا فانتظرنا فيه سُوء فعله فحاق به عمله وَخَبَثَه وبالله لولا حريُمنا، وأولادنا عند كسرى رهائِن بالنصيحة لما فارَقناكم بعد اليوم ولقاسَمْناكم الموت، والحياة فليس عاد إليهم من رَجْعة بل نُلحِقُ بقومنا وملوكنا من بني جفنة ونرجو أنَّ شريف بني إياد يشَفع بجريمنا ويخرجهم إلينا، وأن عمرو أكرمهم، وأقاموا عنده ثلاثة أيّام، ثم ودّعوه ولحقوا بقومهم فبلغ كسرى عملهُمُ فأمر بخيلهم وحريمهم أن تقبض فشفع لهم الطميح فوهبهم له وجهزهم الطميح بأحسن الجهاز وحملهم إلى رحالهم.

قال بشر بن مروان الأسدي: ثم إن أبا جدابة لما رجع من غارته يريد أهله وذلك أنّ أُمّهُ غَضِبتْ على بني شيبان في قتل أخيها شَعثم الأصَمْ وَوَجدتْ عليه أشدّ الوجد ونظرت إلى نصيحة ولدها لهم وحسن مناصرته فعظم ذلك عليها وضاق بها الحال، وإنما كانت تريد أن تكون ثائِراً مع كلّ من يقوم عليهم فمن أجل ذلك تحولت من الموضع الذي تركهم به وزوجته النَّوار وغلمانه وقيانه إلى أخيها مالك بن أبان ونزَلت عليه، وكان يومئذٍ مُنفرِداً في بني أخيه شعثم الأصمّ وُهْم أحَد عشر رجُلاً على ماء من مياه فُوَدةَ فلما وصّل المحل الذي له وَجْدُه دون غيره وهو خال من ماله، وأهله،

وكان أبو جدابة داهية من دواهي العرب قال صاحب الحديث إنه جدّ في سَيْره يريد اللحاق بأهله فلَحِقَهم بعد ذلك، وأنشأ يقول: [الطويل]

أَتَغْضَبُ أُمّي أَنْ نَصَرْتُ عَشِيْرَتي	سَراةَ بَني شَيْبَانَ أَهْلُ المَفَاخِرِ
عَلى قَتْلِ خَالي شَعْثَمٌ وعُمُومَتي	عُبَيدٌ وَمَنْصُورٌ وَزَيدٌ وَجَابِرُ
فَلا تَغْضَبِي يَا أُمّ ثُم تَذَكَّري	قُتلاهُم في رَمْس تِلْكَ المَقَابِرِ
أَلَسْنَا قَتَلْنَا مَالِكاً وَمنِبّهاً	وَعَمْرواً وَمَرْوَاناً وَبَكْرَ بْنِ عَامِرِ

وَمِصْعَبٌ مَعَ زَيْدِ السَّوادِيّ بَعْدَهَم حُمَاةُ بني شَيْبَانَ أَهْلُ الأوامِرِ

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ تَحْتَ أَسْيَافِهِم لَنَا وَكَمْ مِنْ صَرِيعٍ مِنْهُم في العَشَائِرِ

فَإِنْ كُنْتُ آكِلاً لِلَحمِ بني أبي فَلَسْتُ بِمُهدِيهِ إلى كُلِّ جَازِرِ

ولكنَّنِي أَحْمِيهِ عَنْ كُلِّ آكِلِ باكمُتِ وَرْدِيٍّ وَرُمْحٍ وَبَاتِرِ

وَعَذْوٍ وَإِقْدَامٍ وَبَطْشٍ وَعَزْمَةٍ وَغَرٍّ، وتشْمِيرٍ وَقَلْبٍ مُخَاطِرِ

فَلا، وأبي، وأُمِّيّ وَخَالِي وَعَمِّي أخَلْ إى بَنِي أَعْمَامِنَا للأكاسِرِ

وَأَلْبَسُ ثَوْبَ العَارِ فِيْهِم مُنْخَرِقاً وَتُذْكَرُ في البَدْوانِ بَعْدِ الأَحَاضِرِ

أعُوذُ بِرَبِّي مِنْ قَبَائِحِ فِعْلِ مَنْ يُعَنِّفُنِي في نَصْرِ قَومي الأَخَايِرِ

أنا الرَّجُلُ السَّامي إلى كُلِّ خِطَّةٍ مِنَ المجدِ تعلُو للنجومِ الزَّوَاهِرِ

إذا لم أَصُنْ عِرْضِي وَجَارِي وَسَاحَتِي فَأَيُّ أَحْلامٍ يا نَوَارُ لِعَابِرِ

أُلامُ على نَصْري لِشَيْبَان إنَّمَا أَرَدْتُ لَحَاكِ اللهُ جَدْعَ المَنَاخِرِ

ثم إنّ أبا جدابة لما قدم على خاله وماله قال لخاله ما شأن أختك وابنة أخيها قال إنها شاكية منك، ثم قال نادِ لي يا غلام بولدي سنان فلما دعاه أقبل إليه وسَلمّ على أبي جدابة وحيّاهُ بالتحية البالغة، ثم قال له أبوه أنشدنا شعر عمتك فأنشأ يقول:[الرمل]

بِئْسَمَا رَبَّيْتُهُ مِنْ وَلَدٍ قَدْ رَجَوْتُ النَّصْرَ فِيْهِ، والظَّفَرْ

عاقَهُ مَقْدُورُ سُوءٍ فَانثنى وارْتَدى بالعَارِ، والرأي الأَشِرْ

قَبَّحَ اللهُ لبانِي أَنَّهُ كَلِبَانِ البِكْرِ مِنْ بَغْلٍ أَغَرّ

أيُّها النَّاسُ أَفِيْقُوا وانْظُرُوا فَلَقَدْ جَاءَ بِأَمْرٍ مُشْتَهَرْ

قَاتِلُ الأَعْمَام، والأَخْوَالِ لَهُ الجَاهِلُ في الدَّهْرِ في هَتْكِ النَّفَرْ

مَعْشَرٌ مِنْهم ضِرَارٌ وَابْنُهُ وَيَزِيْدُ ونَقِيْعٌ وَعُمَرْ

لا سَقَى اللهُ أراضيهم حُسَّادَ وليدي غَالَهُ سُوءُ القَدَرْ

وَتَقَضَّى أملِي مِنْهُ ولا عَاشَ في خَيْرٍ ولا قَضَى وَطَرْ

وَشِهَابٌ قَدْ صَبَا فِيمَنْ صَبَا لَيْسَ عُمري فِيهِ سَمْعٌ وبَصَرْ

يَضَعُ المَعْرُوفَ في غَيْرِ أَهْلِهِ وَيُحَلِّي الدَّهْرَ حِيْنَاً وَحَجَرْ

كَأَنَّ جَسَّاسَ، وقد أهدى لَهُ في كُلَيْبٍ عَمَّهُ ضَوْءَ القَمَرْ

فَبَنُو شَيْبَان خلصانَ لَهُ أَهْلُ نَضْحٍ وَصَفَاءٍ مُشْتَهِرْ

فَلَحَاهُ اللهُ عَنِّيَ رَجُلاً وَرَمَى ابنيَّ بِسَهْمٍ مِنْ، وتر

قال: ثم أنّ أبا جدابة لما سمع شعْرَ أمّه غضبَ حَتى كادَ أَنْفُهُ يَتَقَطَّر دَماً ثم قال يا خال أرضيتَ أنْ قالَتْ أختُكَ في شهاب ما شاءتْ حتى رَدَّت رُؤيته ولدك أماً فيّ فَمُحتمل، وأما في سيّد عشيرتنا فبالله لا زلتُ غضباناً عليك وعلى أختك وابنة أخيك وعلى إبلي وغلماني، وأفراسي وقياني التي ضمّوها إليك لشان غضبي عليهم، ثم قام إلى جواده وكره أن يأكل لخاله طعاماً فقام إليه خاله فزعاً من سُوءِ رأيه، ثم صار يعتذره وقال ما الذي يُرْضيكَ منّي وابنةِ أخي فأبَلّغُكَ إياه.

وأماّ أمُّكَ فأنت أولى بها منّي فقال أبو جدابة خِلّف الاعتذار وغيره حتى يَنْصَرِم من أحوال كسرى ماَ ينصرمَ ونهنّأ بإخواننا ونعّز عشيرتَنا، وأنا أقْسِمُ بالله لا رَجعتُ عن نُصْرةَ بني شيبان ولنِعَم الرأي جئتَ به أنا وشهاب وسوف ترى أنتَ، وأخوتك لمن تكون حميدُ العاقبة وَحَّرمَ على نفسه ألا يأكل طعاماً، قال: فارْتَحِلْ بفَرسِك ومالِك ودع أختي عندي قال، له قد تركتُ أختك وُعرُسْي ومالي وخلفّتهم وراء ظهري حتى ينصرمَ أمر كسرى، وتنجلي غِمامَتُه، ثم وليّ عنه على نَدَمٍ عظيم، وتوجَّه إلى أخيه شُمير، وأقام عنده على الكرامة وهو يسأله ما الذي فَرّقَ بينك وبين أهلك، وأبو جدابة لا يخبره بشيء فلمّا أكثر شُميرٌ مُراجَعَتُه قال لعلّك تريد ارتحالي عنك، وأنا أفعل ذلك فوثب شمرٌ إلى أخيه أبي حدابة ولثم رأسه وقال يا أخي هل عرفت منيّ قبل اليوم جَفوةً قال اللّهم لا

قال فلم قُلتَ لي مالا أعْرِفه منكَ قال لترددك في سؤالي ولم يُرْدِعكَ إعراضي عن الجواب قال شميرٌ وهو شفيقٌ بأخيه أبي جدابة فقال، والله ما فعلْت ذلك إلاّ للاستراح بأهلك ومالك وليسَ ينفعك منه شيء وكثُر تَعجبّي من الشيء الذي حال بينك وبينهم فأجابه أبو جدابة، وأنشأ يقول في ذلك: [الطويل]

يَلُومُونني أَهْلِي وَخَالي بِأَنَّني ... أُظَاهِرُ شَيْبَاناً أَخي ثم أَنْصُرُ

وَكَيْفَ بَقَانا بَعْدَهُمْ يا ابْنَ والدي ... إذا كُسِرُوا فالتّغلبيّون يُكْسَرُوا

أَلَيْسُوا بَني أَعْمامِنا وَسُيُوفنا ... إذا غَدَتِ الأَعْرَابُ، والخَيْلُ تُضَمَّرُ

أَلَيْسُوا على السُّلانِ ظَلَّتْ سُيُوفُهُم ... لأَعْنَاقِ أَعْدَائِنَا تَحُزُّ، وتبْتُرُ

ولم يأخُذُونا قومَنَا في جَرِيْرَةٍ ... بَدَأنها بها، والخَيْرُ، والشَّرُّ يُذْكَرُ

لَيَاليَّ احْرمُنا وَكَادَتْ ذُنُوْبُنَا ... بِنَا تَكْتَفي لولا بَنُو العَمِّ شَمرّوا

ونَحْنُ فَما يَرْبُو عَلَيْنَا بِسُبَّةٍ ... وَإِنْ قَتَلُونا قَوْمُنا لا نُعَيَّرُ

وَلَكِنَّا إمَّا قُهِرْنَا بِغَيرهم ... نُسَبُّ وَإِنْ نُرِمُوا بِغَيرِيّ نُشْهَرُ

فلا وَهَنَتْ شَيْبَانُ قَومي ولاَوَنَتْ ... ولا كان عَيْشِي فِيهُم يَتَكَدَّرُ

أُولئكَ إِخْوَاني وَقَوْمِي وُعُدَّتي ... وَرُكْنِي وَرُمْحي، والحُسَامُ المُشَهَّرُ

وَأَمَّا شِهَابٌ فَهُوَ فَارِسُ خَيْلِنا ... وَمَوْلى عَشِيْري، والهُمَامُ المنُصَّرُ

وَنَحْنُ بِهِ نَسْمُو على كُلِّ حَادِثٍ ... ونَعْلو على الأعراب طُرّاً وَنَفْخَرُ

بِهِ العَرَبُ أُعطينا أَزِمَّةَ أَمْرِنَا ... وَقَهْقَرَ كَلْبٌ دُوننا ومُعَكَّرُ

وَنَحْنُ بِهِ قَدْ نَالَ ثَاقِبٌ غَارةً ... مُلَمْلَمَةً، والتُّرْكُ في الدُّورِ تَنْظُرُ

قال وإنّ شِمْير لما سَمِعَ شِعَرهُ عِلم أن ذلك من أمه، وأنها قالت فيه، وفي شهاب، وقد رضيه خاله فقال أما قول أمّك فيك فمحتمل فما بال شهاب ورضى خالك بذلك خاب رأيه لم يَرْضى حتّى رواه به ولدهُ، وأيُّ عيشٍ لنا بعد بني شيبان، وأيُّ فخر لنا ولهم أو

عار فيما يذهب بيننا وبينهم ذلك لو كان من عُرْب ثانيةً لكان الغالب يفتخر بغلّبه، والمغلوب يُعيرَّ به وبالله لا تركنا مناصّرةَ بني شيبان على العجم ولا أهْملنا الأهل لكسرى فإما لعّزٍ دائم أو لذل قائم ولابد من الاجتهاد، والطعن، والطّراد فلما عَرف شميرٌ ما قصّهُ عليه أخوه زوجّه بعَفرْاء ابنْة عمرو، وكانت من أجْملِ نساء تَغِلبَ، وأمهرها شميرٌ من ماله وساق له نصف رعيته ونصف غلمانه وقيانه وقادَ له نصف خيله بشكومها وجاور أخاه شميراً في ذلك الحيّ.

قال بشر ابن مروان الأسديّ: إنه لما بلغ كسرى قتل منصور وخروج أخوته وبني عمة إلى عشيرتهم أزمع على النهوض بنفسه إلى بني شيبان، وأمر بصوائحه في مدائنهم أن يستعدّوا للخروج مع الملك لربيعة وغيرها مما يليها من قبائل العرب، وكان الملك إذا أغزا قوماً دَكْهم دكاً، وتغنمُ عساكرهُ من الأموال، والسّبابا.

قال رواة هذه السيّرة إن كسرى جمع قوُاده واستغضبَهمُ على بني شيبان فغضبوا وجدّ عزمهم على الاستعداد وإكثار الزَّادِ، وأقاموا في آلة الغزو وما يقوم بصلاح السَّفر، والحرب في العدد، والركائب، والخدم، والزاد، والمُبلغ فعند ذلك أشفقَ الطُّميح على بني شيبان، ومن يليها من تغلب وغيرهم من العرب، فأنشأ الطُّميح يقول:[البسيط]

كَيْفَ إِحْتِيَالُ طُمَيْحٍ في عَشَائِرِهِ ... والخَيْلُ تُحشَدُ، والأَزْوَادُ، والعُدَدُ

جُنْدٌ عَرِيْضٌ يُغطي الأرضَ لَيْسَ لَهُ ... في الأرض حَدٌّ ولا يُحَصَى لَهُ عَدَدُ

مُسْتَنْصِرٌ لم يَصِرْ يوماً إلى أَحَدٍ ... لا أَبَادٍ ولا يَقْوَى لَهُ أَحَدُ

يا عَيْنُ فَابكِي بَنِي شَيْبَانَ قَاطِبَةً ... أَهْلُ الحِفاظِ فَنِعْمَ الرُّكْنُ، والسَّنَدُ

وابكي بَنِي تَغْلِبَ الغَلْبَاءِ قَوْمُهُمُ ... قَامُوا لِكِسْرَى، وأَيْمُ اللهِ أَوْ قَعدوا

ما يَصْنَعونَ إذا قَاموا لِدَاهِيَةٍ ... وأُختِها لا تَسَعُهَا الغَوْرُ، والنَّجَدُ

جَحَافِلُ كالبِحَارِ الزَّاخِرَاتِ إذا ... مَاهَزَّ أمواجَهَا الأَرْيَاحُ، والرُّعُدُ

قَدْ جُرِّبَتْ في جَمِيعِ سَطْوَتُها ... فلا تُرَدُّ ولا تَحْذَرُ لها صُعُدُ

يا لَهْفَ نَفسي مِنْ شَيْبَانَ ما كَسَبَتْ أَيْـدِيْهُمْ لَيْـتَهُمْ يُـرْدُون مـا وَعَـدوا
أَبلِـغْ نِـزاراً عـلى نَـأْيٍ وَقُـلْ لَهُـمُ قُومُـوا لِـكِسْرَى ولا يُبْعِـدْكُمُ القَنَـدُ
مـاذا أُدَبِّرُ مِـنْ رَأيٍ يُفِيْـدُهُم مِـنْ شَرِّ كِسْرَى وَلَـو أَزْمَعْـتُ أَجْتَهِـدُ
أَبْلِـغْ مَعَـدّاً لَحَاهَـا اللهُ إِنْ قَطَعَـتْ شَـيْبَانَ أو قَعَـدوا عَـنْ تِلْـكَ، وآتَـأَدَوا

ثم إن الملك لم يوقت لهم يوماً معلوماً فأرادَ الطُميح أن يستعلمَ الملك عن ذلكَ ليأمر إلى بني شيبان بخبر صحيح فعند ذلك استأذن الطُميح على الملك فدخلَ وقام قائماً بينَ يديه، ثم أَذِنَ له بالجلوسِ فجلسَ، وأقبلَ عليهِ يسألهُ فقال أيدَّ اللهُ الملكُ يُعَلِّمُنا ميقات المسير لِنعَرفُهُ ونفقّدَ عليه.

وقد كان أرادَ الملكُ أنْ يكْتُمُهُ فلما سألهُ الطُميح استحيا منه لأنَهُ قائد العسكر ومُقَدَّمُ على قُوّاد كسرى فوقّتَ له ستّةَ أشهر، ثم أَعْلَنَ لجميع قُوّادهُ وعساكره بذلك وصاحَتْ صوائِحُهُ بذلك، ثم إن الطُميح خرج من عِند كسرى وقدِم إلى منزله وبَعَثَ إلى بني شيبان رَسولاً يأمرهم بالنفير، والدخول في قبائل مضر، والاستسلام، والدخول في مراد كسرى، وتسليم الحرقة إليه ويكفيهم حاله ويؤخره عن سفره وطلب النكاية فيهم وروى للرسول شعراً يقول فيه:[البسيط]

أَبْلِـغْ هُـدِيْتَ بنـي شَـيْبَانَ لا وَهَنـوا يَومـاً ولا نَزَلَـتْ أَوْطَـانُهُمْ مِحَـنُ
أَهْـلُ الحِفَـاظِ وُلاةُ العِـزِّ إنَّهُـم تعفُـوهُم الخَيْـلُ، والأفيـالُ، والحُصُـنُ
جُنْـدٌ عَـرِيْضٌ كَمِثْـلِ البَحْـرِ بَسْـطَتُهُ أو كـالظَّلام فَهَـل للسَّـلِم أَنْ يـدنوا
قَبْـلَ القَطِيْـعِ، وأشرافٌ مرّبطـةٌ بالقَـدِّ لـيسَ لهـم عَـنٌّ ولا وَطَـنُ
فاستسـلَمُوا يـا بنـي شَـيْبَانَ وَيْحَكُـمُ فـالبَحْرُ تجـري عليـه الرِّيْحُ، والسُـفُنُ
وَقُـلْ لعمـرو وَفِتْيَـانٍ غَطَارِفَـةٍ متـى اصـطَفوا رَأَى مَـنْ يَهْـوُاهم أَمِنـوا

ثم إن الطُميح وجّه إليهم رسولاً وقال له إزيِّج الأشياءَ عليهم أن يستسلموا،

وأكفيهم حال كسرى وقدّم الرسول حتى قَدِم أرض بني شيبان فنزلَ بعمرو بن ثعلبة فأقراهُ سلام الطُميح، وأسْمَعَهُ شِعْرَهُ ورسالته فعند ذلك أمر عَمروُ بإحضار أكابر قومه، وأوقَفَهُم على الرسولِ برسالةِ الطُميح وعَلِمَ مسير الملك وجنوده، وأمَرُوا إلى صفية لِتَسْمَعَ الرسالةَ ويَسْمَعُوا ما عِنْدَها فانطَلَقُوا إليها بالرّسولِ فأوقَفُوها على ما وَقَفُوا عليه وقالوا هذا أوانُ قيامك فقالتْ أنصِفُوا جيادكم واستَحدّوا حدادِكم وارتقُبوا ميعادَكم فعادَ القيام، والجواب بعد اليوم فقد أزِفَ قيامي ولاح بُرهاني فأصْلحُوا شأنكم وعليكم بأنفسكم فقد كفيتم ما وراء ذلك، ثم إنَّ صفية رَدّت جواب الطُميح، وأنشأت تقول: [الكامل]

لله دُرُّكَ مِنْ نَصِيحٍ صَادِقٍ ... والنُّصْحُ دَأْبُكَ أيُّها الإنْسَانُ

واللهُ يُجْزِيكَ الذي أسْلَفتَهُ ... إنّ المُهَيْمِنَ وَاصِلٌ مَنَّانُ

اسْنحْتَ في شَيْبَانَ حَولَ صَنائِعٍ ... فلْيستَعِدَّ بحِملها شَيْبَانُ

نَاصَحْتَهُم وَشَرَكْتَ في مَحْدُودهم ... والسِّرُّ عِنْدَكَ فيهمُ إعْلانُ

فَلَكَ الجَزَاءُ لمثلها في حَادِثٍ ... لا تَأْمَنَنَّ فإنَّ مِنْكَ أمَانُ

والدَّهْرُ يَأتي بالتَّصَارُفِ باقياً ... وَاعْلَمْ فَدَيتُكَ أنَّهُ خَوَّانُ

وَلَسَوْفَ تَدعوني غَداً فيجيبُهُ ... وَلَسَوْفَ تَقْضِي فَرْضَهُ ويُدَانُ

جَاء الرَّسُولُ بِنُصْحِهِ ولأنَّه ... مَحْفُوظَةٌ أسْرَارُهُ، وتصَانُ

لَكِنَّ دُون السِّلْمِ سُمْرٌ ذَابِلٌ ... لمعَاشري مِنْ مَعْشَرٍ فتيَانُ

وَصَوَارِمُ مَشْحُوذةٌ وَسَوابغُ ... وَأبو جِيَادٍ كُلّهنَّ حِصَانُ

واليومَ يَوْمَ حَجِيْجَةٍ مِنْ وَائِلٍ ... جَاءَتْ بها الأنْبَاءُ، والأزْمَانُ

ولَعَمْرُ جَدِّكَ إنَّ عُفَاني جُنْدُهُ ... معْي لَهُ الشَّفَرَاتُ، والمُرَّانُ

شَيْبَانُ قَومي، والأعَارِبُ دَعْوَتي ... وَعَزِيزَةُ فِيْهم وَلَسْتُ أُهَانُ

قُــلْ لِلْطُمَــيْحِ فَدَتْــهُ فِتيَــانُ الوَغَــا عِنْــدي لِــكِسْرَى القَــبُّ، والأبــدانُ

بالــهِ أَفْــزَع مِــنْ كَثِيْــفِ جُنــوده وَأَنَــا تُجِيــبُ لــدعوتي العُرْبَــانُ

فَلتَــأْتِ كِسْرَى، والايَافــتُ بَعْــدَهُ والــتُّرْكُ، والأذلام، والحُبْشَــانُ

وَلــديَّ أَبــيَضُ بَاسِــلٌ ذُو صَــعْدةٍ عِنْــدَ الكَرِيْهَــةِ بَاسِــلٌ طَعَّــانُ

جنــيّ حَــرْبٍ في الحُــرُوبِ مُجَــرَّبُ وَلَــدى السَّــلامَةِ إِنَّــهُ إِنْسَــانُ

هَــزَمَ الجُنُــودَ بِجَحْفَــلٍ في قومــه لاقِيْــهِ يَــوْمَ لقائــهِ خُسْرَانُ

عِنْدي السَّلاهِبُ، والقَوَاضِبُ، والقَنَا وَمُــدَجَّجُونَ الشَــمْطَ، والشُّــبَّانُ

وأَنَــا الحَجِيْجَــةُ مِــنْ ذُؤَابَــةِ وَائِــلٍ وَأَنَــا المجــيرةُ، والقَنَــا رَعْفَــانُ

يَــا وائِــلاً ثُــوروا فَــذَا مِيْقَــاتُكُم وَلِكُــلِّ أَمْــرٍ يَــا جَلِيْــلُ زَمَــانُ

هَــذَا زَمَــاني قَــدْ دَنَــا مِيْقَاتُــهُ هَــذا الأوانُ لمــا زَعَمْــتَ أَوَانُ

أَبْلِــغْ طُمَيْحَــاً يَــا رَسُــولُ وقُــلْ لَــهُ بِسُــيوفِ تغلِــبَ تُغْلَــبُ الأَقْــرَانُ

لا تَجْــزَعَنَّ عَــلى رَبِيْعَــةَ إنهُــمُ أَهْــلُ النَّصِــيْحَةِ يَــا فَتَــى شَــيْبَانُ

ثم إن صَفيّة رَوَتِ للرسولَ شعرِها وقالت له أقرأ أخانا الطميحَ السلامَ وقل له نحن مستقيمون للقاء هذا الغَشُومُ الجبّار الظَّلوم بقومنا بكر، وتغلب، وأنا أرجو لقومي عاقبةَ الصبرّ في إجارة الجار وإلاّ فليسَ، واللهُ يلاقي ولا يكافيء ولا جرت عادة العرب، والعجم من قَبْلنا إلاّ أنا قد رَكَبْنا الخَطَر لهذه الملكة التي أيْتَمها من أبيها، وأعمامِها وبني عمّها في غير جُرْمٍ ولم يرضَ بذلك حتى طرّدها، وأخافَ العَرَبَ لأجلها بتوعّده وضَّيقَ عليها الأرض بما رحبت وبالله لا سَلّمناها ولا تركنا إجارتَها لأجل خوفه ولو جاء بعدد القَطْر، والرّمل ونحن نسألك بالله أن لا تترُكُ مواصَلَتّنا بمراجعة أخباره ولا تَرمادّ ولا رتاع ولا يُملّ رسولك إلينا كالعوائد الأولى فانصرَفَ الرسولُ راجعاً، ثم أمرَتْ صفيةُ بعده لأشراف قومها يَحْضُرُوا من كل ناحية من نواحي العراق إلا من كان منهم في

أرض جَذيمَة أو في ديار قيس بن عيلان أو مع بني تميم فلما اجتمع إليها رؤساء قومها.

وكان بعضهم لم يحضروا الوقعات الأولى قالت لهم إنّي مستقيمة لهذا المُلْكُ بكم ولا أُريدُ أن أصْرَخَ عليه بأكْثر منكم وإخوانُنا بني تغلب فإنهم لم يتأخرّوا عّنا ولم يُسلمونا بمثل هذه الفادحة أفتستقيمُون، وتصْبرون أم أستُجيرَ لي ولجارتي بقبائل غيركم، وأريكم العزّ الأعزَّ، والعديد المُجهّز، وأنشأت تقول في ذلك:[البسيط]

ماذا تَرْون بَني بَكْرٍ فَقَدْ نَزَلَتْ كُبْرَى الذَّوائِبِ، والأُخْرَى على الأَثَرْ

أَتَصْبِرُونَ لِشَعْوَاءَ مُلَمْلَمَةٍ فِيْهَا الأَعَاجِمُ، والنُشَّابُ، والوَتَرْ

أَمْ لَسْتُم أَهْلَ صَبْرٍ في نوازلها عِنْدَ الحَفَائِظِ، والجَارَاتِ، والخصرْ

إني أَجَرْتُ بِكُم يا قَوْمَ فاصطبروا فالصَّبْرُ يَحُلُّ فوقَ الأنجمُ الزُّهْرْ

إيْهاً أجيبوا بني بَكْرٍ حُجَيجَتُكُمْ ما عِنْدَكم وَيْحكم مِنْ غَايَةِ الخَبَرْ

يا أيها الشُمُّ أَنْتُم حافظوا ذِمَمي وأنتُم فلَعَمْري العِزُّ مِنْ عُريْ

أمّا صَبَرْتُم فَلَمْ أدْعُو لغيرِكُم وَإنْ جَزَعْتُم أُنادي كُلَّ ذِي خَطَرْ

بِكُلِّ سَامٍ إلى الهَيْجَاءِ ذِي شَرَفٍ وَارِي الزِّنَادِ كَرِيْمِ الجَدّ من مُضَرْ

ذُو مِرَّةٍ لا يَخَافُ الجُنْدَ إنْ كَثُروا في سَادةٍ قَادَةٍ مَعْرُوفَةٍ صُبُرْ

فأجابها أبو الأسلد بن مالك الحنفي البكري، وأنشأ يقول:[البسيط]

إنْ يَأْتِ كِسْرَى فلا مَلْجَأ ولا صَدَدُ غَيْرُ الكِفاحِ وَغَيْرُ الخَيْلِ، والزَّرَدُ

لابُدَّ إذا جَاءَتْ كتَائِبُهُمْ لا غَيْبَ في فاضلٍ أَفْضَى بها يَجِبُ

نقّومَ الخط للهيجاء يَثْقِفُها والخيلُ تُضَمَّرُ، والأسيافُ تُجَرَّدُ

نَحْنُ الكُماةُ بَنُو الهَيْجَاءِ يَعْرِفُنَا نَحْنُ الوُفاةُ السُّراةُ السَّادَةُ الأُسُدُ

وللحجيجة فِينَا طَاعَةٌ وبِها يَنْجُو الطَّرِيْدُ من الغَارَاتِ، والنُّجُدُ

لِمَ لا نُجبْها وهِيَ مِنْ خمسٍ واحدةٌ بها وفى في حُجَيجَات الوَرَى العَدَدُ

إذا أَجَـرْتِ أَجَرْنَـا مَـنْ أَجَـرْتِ وَقَـدْ   يَـأْوِي الطَّرِيْـدُ إِلى سَـقْفٍ لَـهُ عَمَـدُ
نُضَـمِّرُ الخَيْـلَ بَعْـدَ اليَـوْمِ فاعتقِـدِي   فِينَـا جَمِـيْلاً كَـمَا أَنْ نَحْـنُ نَعْتَقِـدُ
وَتُشْـحِذُ البِـيْضَ، والمـاذيَّ نَقْضُـهُ   ولَـيسَ مِنَّـا غَـدَاةَ الـرَّوْعِ مُرْتَعِـدُ
والصَّـبْرُ فِينَـا سَـجِيَّاتٌ مُؤَبَّـدَةٌ   والجَـارُ فِينَـا عَـنْ الفَحْشَـاءِ مُتَّـأَدُ

ثم إن أبا الأسلد لما تقدّم إلى قومه وغَنّى بهذا الشِعر إتَّفقوا عليه وجَعَلوهُ جواباً لِمَنْ حَضَرَ مِنهُم وغاب وافترقت رؤساءُ بني بكر في الاستعداد وهي تتوقّعُ وصولَ المَلِك إليهم وحُلولَهُ عليهم فأقاموا على ذلكَ أيّاماً إذا جاءَهم رسولُ الطُميح ذات يومٍ.

وقد أَجْهَدَ في سَيره من شدّة الركض فأَنْذَرَهُم وقالَ إنَ المِلِك في مَبرِز المسير، والقُوّاد تُعرض عساكرها عليه ورُتبها وعَدَدها فمن عُرِضَ عَسكرُهُ كامِلاً تَقَدَمَ وسارَ أَوّلاً، وأَسْمَعَهُم شِعرَ الطميح، وأنشأ يقول:[السريع]

قُـلْ لي لِشَـيْبَانَ، وأتباعِهـا   وَاشْـمِلْ جَمِيْـعَ الحَـيِّ مِـنْ وَائِـلِ
إنّ أَبَـا قَـابُوسَ مُسْـتَقْدِمٌ   أَرضَـهُمُ بالمزيـد السَّـائِلِ
العَـرْبُ، والعَجَـمُ ومـا عنـده   مـن الظُّبَـا، واللّـدنِ الـذَّابِلِ
في فَلِيْقَـاتٍ كَسَـحَابِ الـدُّجَى   تَحْـتَ العَجَـاجِ المُـرْهِمِ الهائِـلِ
فـانتظروا لَهُزَمَهـا فـيكُم   اسـتقبلوا الطَّلْعَـةَ مِـنْ نـازل
واجتمعـوا في مَـوْطِنٍ وَاحِـدٍ   وهَـاكُمُ أَلْوِيَـةَ القَاتِـلِ
لَمْ تَرَعَينـي مِثْـلَ أجنـادِهِ   في مُـدُنِ الحُبْشَـانِ، والسَّـاحِلِ
يَغْشَـى الفَيَـافي جُنْـدُهُ كالـدَّبَا   وَيَقْطَـعُ القَـولَ عـلى القَائِـلِ

قال: ثم إن الملك استقر في موضع المسير يعرض جنوده، وقد أعدّ الأزواد الكثيرة، والعُدد الجزيلة، والمراكب الكاملة واستمر كحاله فمن عَرَض عسكره ناقصاً من بعض آلته أكمَلَ المُلْك آلته من الزاد، والسلاح، والركائب فبدأ الملك بتقديم جند العرب،

وأحسن إليهم، وأنعم عليهم.

وكان معه طائفةٌ من الأَعراب في كل فرقة من قحطان وعدنان، وكان يكرم الشجعان، والذين ينصحونه في الحرب. قال: فلما بلغ في إحسانِه من بَلَغَهُ أسبْق منهم معه فقدَّمهم على جنوده من العجم، ثم افْتَقَدَ بعد ذلكَ العَجَم من قومه من الفُرْس، ومن تجنّد معه من وُلْد يافث، فَقَدَّمَ وُلْدَ يافث واخْتَصَّهُمْ بإحسانه، وأنْعَمَ عليهم وقَدّمَهم على قومه الفُرس فَوجَدَهُم مائة ألف فارس وَعَرَضَ جُنْدَهُ الفُرس فَوَجَدَهُم مائة ألف فراسٍ غير العرب فإنهم سبعون ألفاً.

وأما جُنْدُهُ من الفرس فلم يحتاجوا إلى إعانةٍ لكثرة ما معهم من الأرزاق، والأموال العريضة فلما استَقَّرَ المَلِكُ عرض خيله ورجالَهُ وركب في آخرهم في كافة أولاده ووُزرائه وإنَّ الملَكَ لم يَجْمَعَهُم في غُزاةٍ قبل تلك الغُزاة، ثمَّ إنَّ الملك ركب في زيّ لم يركب به أحدٌ من الملوك من قَبْله ممّن سمعنا به في زمانه من ملوك عصره ثم توجه يُريد رَبيعَةَ.

قال بشر بن مروان الأسدي. ثم إنَّ سِول الطُّميح لما وصل بحقيقة وصول الملك بعثَتْ صفيةُ إلى شهاب بن النُوَيْرة بحقيقة الخبر، وأعْلَمَتهُم إنها مستقيمة بقومها بني بكر وإنّا سوف نَنْظَمُّ ونجتمع بعضنا إلى بعض ونَنْزِلُ بذي قار وبه يكون اللقاء وعليك يا شهاب سَدُّ الثنايا فَسُدَّها بمن شئتَ وإنه لّما فشا عِلُم غزاةِ الملك في أرضَ ربيعة رجفَتَ أرضهم، وتزلزلت زلزالاً عظيماً وخرج منهم من كان معهم من الخُلطاء، والأخوان، والأصهار، والأصدقاء ونفروا من بين أظْهُر بني شيبان وربيعة كُلُّها ولم يَبْقَ غير الحيَّين بكرٌ، وتغلبٌ الذّين هم سكان السَّواد، فأمّا بنو بكر فانضّمت إلى صفّية ورهطها، وتجاورت.

وأمّا بنو تغلب فوّلت عليها شهاباً واجتمعت إليه، وكان في قومه كَعَمْرو في قومه.

قال بشر بن مروان الأسدي أن سكان السواد من بكر، وتغلب وهم ساداتُ القوم ورؤساء ربيعة، والمنازعون، والذين لا يصحّ الملك من حِمْيَر إلاّ بهم، وملوك الفرس إلا

بالإحسان عليهم، وأمّا ولد عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جُدَيلَةَ بن أسد بن ربيعة فأرضُهُم اليمامة لأن قبائل ربيعة ضُبَيْعَةُ وعنزة وعبد القيس وبكر، وتغلب وعنز وعجل وحنيفة ولخم ويشكر وشيبان وذهل وقيس عيلان وتهلان وسدوس وضبيعة بن ربيعة، والنمر بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمىّ بن جديلة، وعبد القيس بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة. وعجل وحنيفة ابنا لجيمْ بن علي بن بكر بن وائل، ويشكر بن بكر بن وائل، وشيبان وذهل وقيس وثملان بنو عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

فأما ولد عبد القيس فأخوة قيس من أُمه، وأخوه ثعلبة لأبيه فإنهم سكّان اليمامة وما يليها، وأخوهم عنز فهو في أرض المعروفة وهي في حدود أرض خزيمة، ومن يمانيها أخواه شهران ويكلب وهم في حدود نهد وسنحان.

أما ولد عبد القيس بن ثعلبة فإنهم يسكنون في بلاد مضُر ويُظاهِرُون فيهم ولم تكن الفتنة من ولد ربيعة إلا في بكر، وتغلب سّكان السّواد سواد العراق.

وقد قال القائل قد بَلَغْنَا عنهم أنهم كانوا بذي جُشْمٍ، والتقوا بها، وهي حجازّية وبالرَقَمةِ وهي مُجْدَبَةٌ وكذلك نَجران وهي بحَدٍّ من الحجاز وهو الصَواب وذلك أن القومِ كانوا جيراناً بالسواد فلما هاجت الحروب بينهم اقتتلوا بالسواد فلما أجدبت انتجعوا للخصب جميعاً، وتجاوَرُوا في مكان واحد، والتَقَوا في مكانَ ينزلونَ به سواءٌ كان بالحجاز أو نَجد، وأما وقائعهم، والملوك فإنّهم إذا بلغهم علم مَسيرهم إليهم نَهَضَ من حَضَر منهم.

قال بشر بن مروان الأسديّ إن بكراً، وتغلب كانت أرْضُهُم السّواد ولما خَلَتْ من الأخلاط على خصبها ونعيمها، وكانت أَخصَب أرض في بلاد العرب.

قال الشهاب بن الُنويرة من ذلك كيف أَفْزَعَتْهُم عساكر كِسرى حتى رحلُوا عن أرضٍ لا يجدون عنها عوضاً إلى أرض مُجدِبَةٍ، وأهل المُلكُ مُستقيمون لِفتْنةِ عَدوِّهم وغير راجعين عنه ثم فكّر شهاب في نفسه وقال لحا الله الخلطاء في سائر العرب فلا

عَصَبِيّة لهم ولا خَيرَ عندهم هذا ونحن مستقيمون فكيف لو مِلْنا مَيْلَةً ورغَّبتنا فيهم كرغبة أهل البلاد في سكان بلادهم، ويقال إنّ البلد تُحمى مع أهلها إلى كل ساكن يسكن مع أهلها وَيَمسّهُم نفعُها مع أهلها لشأن منفعتها فإنهم لا يتركونها بدخل ولا بحرب ما استقاموا بها أهلها، ثم أتى على نفسه لئن خرج سالماً، وأفْلَتَ من وقائع كسرى ليُعرّفَهُمْ بذلك وليُعاتِبَنّهُم على سُوءِ فِعْلهم، ثم أنّ شهاب بن نويرة أنشأ يقول:[الوافر]

مَضَى الأَصْهَارُ، والجِيلُ الأَكِيْدُ ... وَجَاءُ الجُنُبُ عَنْهَا، والبَعِيدُ

وَأَقْفَرَتِ البِلادُ فَلَيْسَ فِيْهَا ... صَدِيقٌ يَسْتَفِيدُ ولا يُفِيْدُ

ولا صِرٌّ ولا جَارٌ شَرِيْفٌ ... لَهُ فِعْلٌ على العُلْيَا حَمِيْدُ

وَخَوَّفَنَا الطُّمَيْحُ جُنُودَ كِسْرَى ... وَلَيْسَ يُخِيفُ مَعْشَرَنَا الجُنُودُ

وَخَوَّفَنَا الطُّمَيْحُ وَلَيْسَ مِنَّا ... مَعَاشِرُ وَائِلٍ أَبَداً شَرُودُ

إذا كانوا سَحَاباً في ظَلامٍ ... فَنَحْنُ بِهِ البَوارِقُ، والرُّعُودُ

وَإِنْ كَانوا بِطَاحَاً في رِمَالٍ ... فَنَحْنُ السَّيْلُ فيها المُسْتَجِيْدُ

وَإِنْ كَانوا صَبَاحَاً في قِفَارٍ ... فَنَحْنُ الحَرُّ فِيْهَا، والبُرُودُ

وإنْ عَظُمَتْ جُسُومُهُم وطالَتْ ... فَلَيْسَ العَظْمُ يَخْشَاهُ الحَدِيدُ

ألا أبْلِغْ أنُو شَرْوَانَ عَنّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ حَقَّ الوَعِيدُ

بِأَنَّ جِيَادَنَا لَكَ صَافِنَاتٌ ... عَلَيْهَا السَّابِرِيّةُ، واللّبُودُ

لَوَاحِظُ بالأَسِنّةِ كُلَّ فَجٍ ... عَلَيْهَا مِنْ عَشَائرنا أُسُودُ

وإنّا وَاقِفُونَ بِكُلِّ حَرْبٍ ... لِجُنْدِكَ كَي يُبِيْدُوا أو نُبِيْدُ

أَأَطْمَعَكَ العَدِيدُ فَفِي رِجَالي ... الكِفَايَةُ، والنّكَايَةُ، والعَدِيْدُ

ألا رَحُبَتْ لمقدَمِهِ النُّجُودُ ... وَأَجْبُلُهُنّ، والقَاعُ السّدِيدُ

وَزَلْزَلَـــتِ الـــبلادُ كَـــأَنَّ نُوحَـــاً وَعُوجَـــاً، والسَّـــفينَ بهـــم زَرُودُ

كَـــأَنَّ الـــرِّيْحَ مُرْسَـــلَةٌ لعـــادٍ فَعَـــادٌ خَـــوْفَ رِيحِهـــمُ همُـــودُ

كَـــأَنَّ جُنُـــودَ كِسْرى يَـــوْمَ مِلْـــحٍ وَحُرْقَـــا نَاقَـــةٍ عَقَـــرَتْ ثَمـــودُ

كَـــأَنَّ مَـــدْيَنَ كَفَـــرَتْ شُـــعَيْباً فَيَـــومَ الظُّلّمتَـــينَ لهـــم مَبِيْـــدُ

كَـــأَنَّ لَنَـــا جُلـــوداً فَـــوْقَ لَحْـــمٍ وَلَـــيْسَ لَهُـــمْ لحُـــومٌ أو جُلَـــودُ

أَطوَفـــانٌ هُـــمُ فَلَـــنَحْنُ سُـــفْنٌ وَصَـــاحِبُ لُـــوطٍ كُـــلاًّ لا يَعُـــودُ

وَإِنْ كانَـــتْ لِفِرْعَـــونَ بقايـــا فَمُوسَـــى حَـــاضِرٌ وبهـــم يَعُـــودُ

جُنـــودُهمُ إلىَّ عَطَـــاءٍ ولَـــجٍّ هؤيّـــدٌ وَحَيـــه المِلَـــكُ المجيـــدُ

احرقـــا مـــريمُ أو أمُ عيســـى وَأَنْـــتَ أَبُـــو النَّصَـــارى زَتـــبرودُ

مُحُرِجُهـــا ومَسْـــكَنُهَا الفَيـــافي مَشرَّدُهـــا ولـــيسَ لهـــا خُلـــودُ

ألا لا يَـــدْفَعَنْ مـــا يَشْـــتَهيه وَلَكِنَّـــا سَـــنَدْفَعُ مَـــا نُرِيْـــدُ

ومَنَعْنَـــا ابنَـــةَ الـــنَّعْمانِ لَيْسَـــتْ يَنَـــال ولا يَهُـــمُّ بهـــا العَـــزودُ

ولأُ يَـــدْنى بهـــا أَحَـــدٌ بسَـــوءٍ وَعَمْـــرٌو في عَشَـــائِرِهِ عَمِيْـــدُ

فَـــما يُنْسَـــلِيكَ مِنْهـــا غَـــيْرُ ضَرْبٍ لَـــهُ في وَسْـــطِ هَـــامَتِكُم وَقُـــودُ

فَلَسْـــتَ بنَـــالٍ مـــن حَرْقَـــاَ مَنَـــالاً ولـــو وقَفَـــتْ عُفاتُـــكَ، والوُفـــودُ

نُخَـــوَّفُ بالأكَـــاسِرِ كُـــلَّ يَـــومٍ وَيأتينـــا لأَجْلهـــم بَرِيْـــدُ

أكِسْرَى ذَا سُـــلَيمانُ نَبِـــيٌّ مِـــنَ الـــرَّحْمنِ أَرْسَـــلَهُ يَـــرُودُ

وَتخْدِمُـــهُ العَفَارِيْـــتُ العُراضـــا وتَحمِلُـــهُ الرِّيَـــاحُ لمـــا يُرِيْـــدُ

وَنَحْـــنُ كَبَنِيْـــتِ هَـــذْهادٍ أتاهـــا كِتَـــابٌ فيـــه تَهْدِيْـــدٌ شَـــديدُ

إذا أمْـــرَ السَّـــما مِنْـــه سَـــلِمْنا فأهْـــلُ الأرضِ كَلُّهـــم عَبِيْـــدُ

نُجَالِدُ جُنْدَ كِسْرَى لأَنْبَالي ... وَهَلْ مِنَّا مِنَ إلا لِوْا صُدودُ
وَنَطْعَنُهُم إذا جاؤوا إلينا ... وَلَو صِهْري وإخواني تَجُودُ
أَيَطْمَعُ في نِسَا حُرْقَاء كِسْرَى ... وَذَلِكَ مَطْمَعٌ مِنهُ بَعِيدُ
وَحُرْقَا مَعْ بَني عِجْلٍ حَمَتْهَا ... سُيُوفُ الهِنْدِ، والسَّرْدُ الحَصِيْدُ
حَمَاهَا كُلُّ وَضَّاحٍ جَرِيءٍ ... عَلى الهَيْجَاءِ عَمْرى لا يَحِيْدُ
صَنَادِيْدُ الكِفَاحِ بَنُو المَعَالي ... ومَيْدانُ النِّزَال لها حُدُودُ
تَطَاهمٌ للعِراكِ أَبُوَّ صَدْقٍ ... كَذَلك فِيْهُم كَانَتْ جُدُوْد
لَنَا العَلْيَا شَيَّدْنا عُلاها ... وَكُلُّ العَالمين لَنَا شُهُودُ
وَنَحْنُ إذا التَقَيْنا الجُنْدَ يَوْمَاً ... سَأَلْنَاهُم غَدَاً أَنْ يَسْتَزِيدوا

وقال أبو جدابة التغلبي في ذلك اليوم: [الطويل]

سَيَعْلَمُ جيراني الذين تحملوا ... إذا ما قَلَلْنَا البَرْدَ قَيْنٍ وَقَيْصَرا
وَآبَ أنوشَرْوَانَ أقْبَحَ أَوْبَةٍ ... يَعَضُّ على الإبْهَام أبكَمَ أعْوَرا
ولم يَسْتَقِمْ لِلْعُجْمِ عَزْمٌ، وأحْجمَتْ ... وَوَلَّى رَعِيلٌ عِنْدَ ذَاك وقَهقَرا
بأَنِي الذي أَحْمِي العَطِيْنَ، وأختَمي ... وَأضرِبُ بالهِنْديِّ ضَرْبَاً منكَّرا
يَظِنُّ بِنَا جيرانُنا شَرَّ ظِنَّةٍ ... وقالوا مقالاً في البَرِيَّة مُنْكَرا
هُمُ أَستَعْجَزُونا مِن لِقَاءِ العُجْمِ ضَلَّةً ... وَفَرُّوا فِراراً عَنْ بِلادي مُشَمَّرا
ألا رُبَّ صِهْرٍ مع صَدِيْقٍ وَصَاحبٍ ... غَدَا فَبَقِي في رَأْيِهِ مُتَحَيِّرا
وَوَدَّعَ آمْهاراً وَرَوْحَاءَ كَريمةً ... وعِيْشاً رَخِياً عَنْهُ صَارَ مُطَيِّرَا
ولو شاوَرُونا ما أشَرْنا عَليهمُ ... نَعَمْ وحَمَيْناهُم عِشَاءً ومُبكرا
وما خَطَرَ الفُرْسِيُّ كِسْرى وُجُنْدُهُ ... إذا ظَلَّ يَوْمَ كَاسِفُ الشَّمْسِ مُقْتِرَا

وَغَطَّتْ بَنُو بَكْرٍ شِفَاهاً وكَلَّحَتْ بنو تَغْلِبَ بَعْدَ الطِّعَانِ بِغثمرا

ودارَتْ رَحَانا قَبْلَ دَوْرِ رَحَاهُمُ فَدَّقتْهُم دَقَّ الرِّيَاحِ هَبَ الثَّرَا

فَصَبْرَاً إلى ما تَدْنُ منّا جُنُودُهُ ونَلْبُس بَيْضَاً للوغَا وَسُنُّورَا

ونُقحُمُ فيهم كُلَّ أَدْهَمَ سَابِقٍ وَكُلَّ كُمَيْتٍ صَادِقِ العَدْوِ أَحْمَرا

قال بشر بن مروان الأسدي: ثم إن شهابا لما بلغه قَصِيُد أبي حدابة وقول أمّه وزوجته الَّنوار ومُساعدةُ خاله على رأيها وخرفها أبي حدابة من أهله وما له، والشعُر الذي أنشده إيّاه ابن خاله لعمتّه برضا أبيهَ وجّهَ إلى أبي جُدابة فلمّا جاءه وسَلّمَ عليه ومثل بين يديه أقبَلَ عليه فقال يا أبا قَيَةَ أصحيح ما بلَغَني عن أمّكَ وخالك وعرسكّ قال له التَمِسْ ذلك من غيري فعلم أن في شرف نفسه، وتجاود نخوته أن لا يثني من ذلك شيئاً قبل فأعَرض عن شهاب عن استبحاثه في ذلك فقال له شهاب أتريدُ أن أزوجك فُتيليه فقال أبو جدابة إنّي لا أقصّر عن ذلك ولا تكترعيّ قال فتبسَّم شهابُ في وجهه.

ثم إنه حمل إلى فُتَيلةَ مهرها من عنده، ثم أعْطاه من اللّقاح ما يكفيه، وأمرَ عَبيَدهُ وفتيانه بالوليمة فلما عَملَتِ الوليمةُ أحْضَر الطعّام، والشراب فظلّ يوم السرور فأكلوا وشَرِبوا حتى إجتهم الليّلُ وافترق الناسُ، وتقدم أبو جدابةَ إلى زوجته فتيلة فنام عندها بأحسن ليلة، وأَمَّ سُرُور.

قال رواة هذه السيرة، وأقاموا بعد ذلك ثلاثة أيام على ذلك الحال ورُفعَتْ رايأُت المِلكِ عند الفجر بجيوش تَتَضعْضَعُ بها الأودية، وتضيقُ بها الفَجاج وجاءت الجيوش مُتعَاُرضَةً غير متتابعة.

وكانت بنو شيبان في تلك الليلة قد حذروا بالشَدّ لَحريمهمُ، والركوب فَفَعْلَن ذلك قال، وأمْسَى القومُ فوقَ مُتُون الخيل شاكي السّلاح وكذلك شهابُ بن نُويرة ليلته تلك أمر قومُهُ بالشدَّ على الخيل وبلبس سلاحهم ففعلوا ذلك وَرَكِبَ فيهم وجَعَلَ على كلّ ثنيّة فرقةٌ من قومه يَكْنِفُهَا ولا يَصْعَدُ عليها أحدٌ وهي اثنتان وخمسون ثنيّة لا بقيت ثنيّة

لا قوم فيها فَسَدَّها شهابٌ وحده، قيل ولمّا لاحت أعلامُ الملك أقبلت صفية على قبائل قومها بني بكر تُعبئَها، وتحرضها فِرقةً بعد أخرى، وتدْفَعُ كلَّ قبيلةٍ أمامَ من يليها، وكان أوّل من بَدَأت به بنو حنيفة فرَمتهُم، وتبعوها وسارت، وأنشأت تقول:[الرجز]

لُجَـيْمُ قَـومي وَبَنـي أبِيْنَـا لَيْسُـوا لَـدَى الهَيْجَـاءِ مُغَلّبِينَـا

بَـلْ ظَـافِرِيْنَ وَحُمَـاةٍ فِيْنَـا العِـزُّ فِـيْهِم حِـيْنَ يُلْجِمُونَـا

وَيَسْرُجُـونَ ثُـمَ يَحْمِلُونَـا إِيْهَـاً لبنـي الأعـمامِ فانصرونـا

ثم إنّها رَمَتْ بهم سواداً كان قبلهم ثم أقبلت على رهطها بني عجلٍ فميزَّ منهم أباها، وأخاها تُريدهم لشيء ثانٍ فتقدَّمَتْ صفيّة أمامَهم وهُمْ مِنْ خَلفِها، وأنشأت تقول :[الرجز]

الفَخْـرُ فَخْـرِي بِسَرَاةِ عِجْـلِ هُـمْ مَـعْشَري في نَجْـدِهِم، والسَّهْلَ

هُـمُ السُّراةُ وحُمَـاةُ الأهـلِ والفَـائِقُونَ بِشَرِيْـفِ الفِعْـلِ

والُمنْعِمُـونَ بِشَرِيْـفِ البَـذْلِ والنَّـاقِمونَ بِعَـرِيْضِ النَّصْـلِ

إِيْهَـاً أَبِيْـدُوا جَمْعَهُـمْ بالقَتْـلِ ولا تكونُـوا عَرَضَـاً لِلنَّبْـلِ

واخْتَلَطَـوا فـيهم بغـيرّ مَهْـلِ

ثم إنهّا رمت بهم إلى من يليهم من السواد، وأقبلت إلى أخوانهم بني ذُهْل، وتقدّمتُهم وهُمْ من خَلْفها، وأنشأت تقول:[الرجز]

اليـومَ يَـوْمُ العِـزَّ لا يَـوْمَ النَّـدَمْ يَـوْمُ رِمَـاحٍ وَجِيَـادٍ وخَـدَمْ

يومـاً بِـه الأرواحُ جَهْـراً تَصْـطَلَمْ سَـوف تَـرى البِيْض غَـداةَ الُمبْتسِـمْ

الوائلَيـاتِ التـي تَحْمِـي الـبُهَمْ يَـا آلَ بَكْـرٍ لا تُهْلكُـمُ العَجَـمْ

مَـنْ الـذيَ يَحْمـي الخِيَـامَ، والـنَّعَمْ وَمِـنْ يُطـاعِنْ تَحْـتَ سِرْبـال القَـتَمْ

إن صَـبرتْ ذُهْـلٌ فَعِـزّي اليَـوْمَ تَـمّ

ثم أنها رمت بهم في سواد كان قبلهم، ثم نادت أباها، وأخاها فجعلْتهُم على جُمْهور بني شيبان في بني مرّة وبني علي وبني الأبرص وعبْد بني شيبان وبني مصبّح وبني بكر الأصغر وبني نافع وبني قرط وبني النمر وهذه آخر بُيوت شيبان، ثم عَدَلَتْ بهم إلى كسرى، وأولاده، وكان تحتهم جمهور عسكرِ الملكِ أهلُ الشرف، واللّباس، والآلة، والعُدّة، والعَديد، والسَّطوة القاهرة، والعَدَّة الحاضرة، والملوك الجبابرة وسارت وهم من خلفها، وأنشأت تقول:[الرجز]

إيْهاً بَني شَيْبَانَ صَفّاً بَعْدَ صَفْ   مَنْ يُرِدِ العَلْياءَ لم يَخْشَ التَّلَفْ

مَنْ حاذَرَ الموتَ تنحّى وَوَقَفْ   إنّ الشُّجَاعَ بَاسِلٌ فِيْهِ صَلَفْ

أن يقتلوا بظفرٍ ويحذر ويخف   وفي الفِرَارِ يُولجوا فِيْنَا الكِلَفْ

اليومَ يومُ العِزِّ مَوْصُوفِ الشَّرَفْ   إنْ حَافظَتْ قومي فَمَا بي مِنْ أَسَفْ

أنا ابنةُ العِزِّ وَعِرْضِي اليَوْمَ عَفْ   بِكُلِّ نَصْلٍ كالشُّهَابِ المختطفْ

تَخْطِفُ قوماً قد عَفَوْنَا بَسَرَفْ، ثم إن صفية نادت أباها ثعلبة، وأخاها عمرواً إلى خاصة العسكر وحمل الجنود على الجنود واشتغل كل قوم بمن يليهم، ثم أن صفيّة رَجَعَتْ إلى ورائها ونادَتْ بالضعائن تتبع كُلَّ قبيلة حريمها، وأموالها مِنْ خَلْفَها ففعلوا ذلك وركَضَتْ بعيرُها تريد الثنايا تنظر ما صَنع شهابٌ فوافَتْ شهاباً قد التفتَ قومَه إليه، وقد سَدّ كلّ ثنيّةٍ بقوم وبقيَتْ ثنيّةٌ فَسَدَّها شِهابٌ وحده، قيل ودفعت جنود الملك لصعود الثنايا وهم عساكر كالسّحاب أو كالسيُّول فرَّدْتهُم تغلِبُ فنظَرَتْ جنودُ الملك إلى الثنيّة التي ليس عليها غير شهاب فطمعوا في صعودها فحَذَرَهُمْ شهابٌ وحده، وكان بمنزلة قبيلة، ثم إنّ صفية أشرفت فنظرت سواداً كثيراً.

وقد حذرتهم تغلبُ ولَزِمَتْ لهم الطُرُقَ فلم يستطيعوا عليهم سلوكها فعند ذلك وقف كل قوم بإزاء أصحابهم، وقد روى في الخبر عن سيّد البشر محمد صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خفض له الرفيع ورفع له الخفيض حتى استوت الأرض وكشف له

الغَطاء، وذلك في يوم ذي قار الآخر فرأى ربيعة قد هَزَمت جيشَ العجم ونُصرت عليها فقال (ﷺ) «نُصِرَتْ العربُ على العجم ونُصِرَتْ بي العَرب»

فسمّاهُم رسول الله (ﷺ) لما أحاطوا [الذمام في العرب وحموا حماها ولم يضيّعوا الجار]، وقد زعموا أن ربيعة لو لم تُجِرْ على كسرى لما رجعت العرب تُجير على الملوك، وكان ينقطع الجوار في العرب فأراد اللهُ منعة الجار في خَلْقه فَقَوىّ قلوبَ بني شيبان ولكل نصيب من الشرف، والسُّؤدد، والنّجابْه، والصبر، والكلّ لا يُجْحَدُ فَضْلُه، ثم إنّ صفية هَبَطتْ من الثنايا.

وقد رَضَيتْ فعلُ شهاب وقومه فطابَتْ نفسُها عليه، وأرادَتْ أن تطلع على قومها، وتشهد فعلهم وحَثّت بعيرها إليهم، وكان ذلك اليوم شديد القتال على أخيها، وأبيها، ومن معهما من بني شيبان لأنهم في جمهور عساكر الملك لشأن الأكاسرة أولاد الملك لأنهم باشروا الحرب بأنفسهم، وأما الملك فكان في قُبّته على فراش مَلكه وحَوله عشرة آلاف غلامٍ من صناديد مماليكه بالسيوف المحلاة، والحجف اليمانية.

قال بشر بن مروان الأسديّ، ثم أن بني شيبان لما اشتجر فيهم القتلُ، والجراح جالوا جولة من المَعْرك فولّين حريمهم هرباً فوافى ذلك رجوعُ صفية من عند شهاب بن نويرة فلما رأت الضّعائن، والخيل متواترة بعدها ركَضت بعيرَها ولقيت الضعائن فأوقَفْتُهم، وأناخت بعيرَها، وأخذت خنجراً كان معها وجعلَتْ تقطع به الأصلاد من الجمال حتى تساقطت النساء وصارت النساء يَسْقُطن من ظهور الجمال هُنَّ، وأولادهنّ، ولهنّ ضجيجٌ عالٍ.

قال بشر بن مروان الأسدي فلما عطفت خيل القوم الذين كانوا ولّوا حتى كادت حوافر خيلهم تطأ نساءَهم فعند ذلك عطفوا عطفة من لا يرجو الحياة بعدها، ثم أن القوم عطفو على مقاتلتهم وحموا في السواد وقاتلوا مع فرسانهم وصابروا، وقيل أن صفية صاحت بأعلى صوتها، وأنشأت تقول يا عمرو يا عمر الفتى:[الرجز]

يا عَمْرُوْ يا عَمْرُوْ الفتى ابْنُ ثَعْلَبَةْ   حَامِ على جَارَتِكَ المُسْتَغْرِبَةْ

قال فألقى الله صوتها في أُذنِ أخيها وهو لا يدري ما تقول غير أنه لم يَخف عليه أنها تُحَرِّضه، وتأمره بالإقدام، والصبر وخَوْض السواد فحمل برجاله وبعده أبوه وفُرسانُ قومه المعدودة في الكتائب وقومهم من بعدهم ورَفَع الخَلاقِ، «والتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ»، وتضَايَقَ الجُندانُ وَعَظُمت النكاية فيهم، فأما بنو شيبان فصبروا لأجل حريمهم، وأموالهم وجارتهم، وأما جند الملك فصبروا لأجل كثرتهم وملوكهم فلما رأت صفية ذلك خافت على أخيها، وأبيها الهلاك وعلى قومها فرجعت تُرَكِّضُ بَعيرها إلى الثنايا تستزيد بعض الحيّ من تغلب، وتستنجد شهابا وفرقة من قومه.

قال بشر بن مروان الأسديّ فبينما هي بالحَثّ إذْ بها تنتظر في وسط البرية عجاجة مُنْعَقِدةً لا تَشْبَهُ عَجاجَ الخيل الذي في القتال، وذلك إن عجاج الخيل الذي في القتال مفترق مشرقاً ومغرباً ويميناً وشمالاً وهذه عجاجةٌ مُنْعَقِدةٌ مجتمعة مجتمعةٌ عاليةٌ على العجاج وذلك ظليم بن الحارث بن حِلّزَةَ اليَشْكُري كان يومئذٍ في أرض قيس بن عيلان.

وكان مصاهراً لهم ومعه جماعة من قومه بني يشكر وهم خمسةُ آلاف فارس وطائفةٌ من قومهم بنو عبد القيس بن ثعلبة الأكبر.

وكان في أرض قيس بن عيلان، وقد بلغهم إجارة بني شيبان للحرقَة وعِلمَ الوقائع الأولى، ثم جاءهم عِلمُ مسير الملك إليهم وبسُعاته الذين وقّت لهم فانتظر ظليم بن الحارث أن يأتيه صارخٌ لأحد الرجليّن، أما شهاب بن النويرة، وأما عمرو بن ثعلبة فلم يأته أحد فعلم أن الرجلين قد استقاما في عشيرتها أهل السواد، ووطنوا أنفسهم على الصبر فعند ذلك جَمَعَ ظليم قومه بني يشكر وسائر قبائل بني عبد القيس من كل أرض قيس وغيرها.

وقال لهم هل لكم من رغبة في عشائركم أهل السواد أو عصبية أو حَمِيّةٍ فقد بَلَغَتْكُمْ عنهم من علم صبرهم وإجارتهم الحَرَة على كسرى واستقامتهم لجنود كسرى فغدوا

عليهم بالفتنة، وتروح لشان الحرقة جارتهم، ولا بقاء لهم بعد ذلك على ما هنالك فأجابوه، وقالوا لو كان لمسير الملك ضجّةٌ لكانت صوارخ الرجلين قد جاءت إلى قبائل العرب من ربيعةَ حيث كانت، قال:

فلمّا سمع مقاله قومه أسْبَلَتا عيناه بالدموع وبكى بُكاءاً شديداً حتى كادَت أنفاسه تنقطع ولما استَرْجَعَ من بكائه قالوا يا سيدنا علام بكاؤك فلقد هالنا، وأفزعنا، قال، ومن أحَقُّ بذلك مني وكيف لا أبكي، وقد صحَّ مسير الملك بجنوده وكافّة أولاده وعساكره لا يَسَعُها رحيبُ الأرض لقوم يقصدهم، وفي رجالهم الجريحُ، والأشل، وفي خيولهم الأعرج، والأزور من الوقائع الأولى، وقد وطَّنوا أنفسهم على الصبر واستعدوا للهلاك وهم أهلُ الشرف في ربيعةُ طُرّاً وذَوُا النجدة، والشدّة فأيَّ بقاءٍ لنا لعدهم، وقد فاتنا من وقائعهم الأولى ما فات، وأما الآن فكلاّ، والله ما لي عنهم صبرٌ ولا مُخْتلف.

وأما شهاب بن النويرة، وعمرو بن ثعلبة فلو جاءَتْها جنود الشرق، والغرب ما اصطرخا إلى أحد ولا فعلاه أبداً وإنهما ليستقيان بقومهما أهل السواد، وثالثهما أبو جدابة ما يبالي، والله بالخيل كَثُرتْ أو قَلّتْ فأخبروني ما عندكم، قالوا، والله ما لنا عن الغارة تأخير ولقد حقّقتَ لنا مسير الملك بنفسه بل إنّا نَتَأهَبُ للمسير على قدر ميقاته ونواسي إخواننا بأنفسنا بالموت، والحياة، قال وإن القوم وافقوا ظليم بن الحارث على الغارة ليوم معلوم وافترقوا في إصلاح شأنهم واستعدّوا للمسير، وأغاروا فيما تلك عادتهم، قال بشر بن مروان الأسديّ.

ثم أن صفية استقبلت العجاجة، وكان القوم قد رأوا عجاج الخيل فعلموا أنَّ القوم في القتال في أعظم ما يكون فلمّا قرّبوا أناخوا الإبل ونزلوا عن ظهورها واستخرجوا دروعهم فأفرغوها عليهم وشَدُّوا حُزُمَ الخيل وركبوا على متونها، وتقَلَّدوا سيوفهم واعتَقَلوا رماحهم، وتقدَّمَ أمامهم ظُليم بن الحارث اليشكري، وكان أسداً من أسود ربيعة وفُرْسانها ذوي البأس، والنجدة، والمراس.

وكان سِنانُهُ كأنّهُ شُعلة نار وقُنانه قامة فلاح لصفية تُوقد النَّصلُ في صدر القناه

فعلمت أنه سنان ظليم بن الحارث فأيقنت عند ذلك بالنصر، والظفر فأوقَفَت بعيرها ثمَّ أحثت في لقائه مستبشرة بقدومه هو وقومه، وأنشأت تقول:[الرجز]

هـذا ظَلِـيْمٌ جَـاءَهُم في يَشْـكُرْ ... بالقَـبِّ، والمُـرَّانِ، والسُّـنُورْ

كَلَيْـثِ غَابَـاتٍ هَمُـوسٍ مُحْـدَرْ ... يـا فَارِسَـاً تَحْـتَ العَجَـاجِ الأَكْـدَرْ

هَـذا ظَلِـيْمٌ مِـنْ كِـرَامِ مَـعْشَرِي ... احْمِـلْ هُـدِيْتَ حَمْلَـةَ المُسْـتَنْصِرْ

قال: وكان ظليم على أول خيله بينه وبينها غاية الفُرس فلاحَ له بعير صفية وهي تحثُّ في لقائه وهي مُسفِرةً معْتَجرة متنطّقة بمحزمة الرجال فقال لها ما صنع شهابُ؟ فقالت لزم الثنايا وبذلك أمرتهُ قال وما صنع أخوكِ؟ قالت إنه في الكريهة بنفسها قال سيري أمامي فأنّي لا أعرف مكانه من السوّاد وصاح بخيله صيحة فأحاطت به وحثّت بعيرها أمامه، وأنشأت تقول:[الرجز]

احمِـل ظَلِـيْمٌ في العَجَـاجِ الأَسْـودْ ... فَفِيْـهِ عَمْـروٌ كـالهِزْبَرَ الأَرْبَـدْ

يَضْرِبُ بالمُشَّـطَبْ المُهَنَّـدْ ... بِسَـاعِدٍ ذِي نَجْـدَةٍ مُؤَيَّـدْ

أَدْرِكْ فَأَنْـتَ غَايَـةُ المُسْـتَنْجِدْ ... وأعـدو عـلى القـدم كَعَـدْو الأَسَـدْ

بِـذِي جَنَـانٍ كالصَّـفاءِ الأَصْـلَدْ ... باليشـكريينَ كِـرَامِ المَحْتَـدْ

فأجابها ظليم بن الحارث، وأنشأ يقول:[الرجز]

إنَّ ظُلَـيْماً لم يَعُـدْ مِـنْ غَـيْلانٍ ... بعيـد واعٍ ليخـاف الأَقْـرَانْ

لابُـدَّ مِـنْ ضَرْبٍ يُشِـيْبُ الولـدانْ ... فاسـتبشري اليـومَ بِـنَصْرٍ شَـيَّانْ

إِنْ لم أجليّهـا فعُمْـري خُسْرَانْ ... واهـزِم الجَمْـعَ، وأطْفِـيء النِّـيْرَانْ

ثم أن ظليم بن الحارث حَمَلَ بقومه في السواد، وأمر قومه أن يرفعوا أصواتهم بصيحةٍ غريبةٍ عاليةٍ ليطمئن بهم العرب وليفسخوا بها شيئاً من عَزْم العجم، ثم وضعوا فيها السيوفَ، والرِماح وفرّجوا عن قومِهم فُرجةً معروفة، والتقى الجمع بالجمع واقتتلوا

قتالاً شديداً وافترق القوم عن ضربٍ شديدٍ وطَعْنٍ عميد، قال: ولما افترق الجمعان افتقد عمرو، وأصحابه فوجد مقاتلته قد أصيب منهم جماعة غير منْ أحصبَ من القوم قبل.

وكان عمرو يومئذٍ قد كلِم بالجراح من النبال، والسيوف، قال واتفق ظُلَيمُ بن الحارث، وعمرو بن ثعلبة فتصافحا، وتسالما وعرف كل واحد منهما صاحبه واستبشر عمرو بظُلَيم وسُرَّ به سُروراً شديداً، وأقبل ظليمٌ على عمرو يعاتبه إذ لم يأمر إليه بصارخ ثمّ قال يا عمرو أمّا ما فات من الوقائع الأولى فقد فات.

وأما اليوم فأقيمونا في أول اللقاء، والآن فإنّي معك وقسيمك وداخل فيما دخلتَ فيه وضامنٌ من الجوار ما ضمنت وغير ذلك فجزى له خيراً وبرز ظليم بن الحارث بين الصَفَّين ونادى بالبراز، ثم حمل فقتل من مقاتلة العجم خمسة عشر فارساً في حال البراز، ثم قام ظليم في ركائبه ونادى بالحَمْلَةِ فحَمِلَ السواد على السواد، واقتتلوا حتى حجز الليل بينهم وباتت ربيعة على وهنة من الجراح، والتعب وجنود الملك جُرِحَ منهم ناسٌ كثير وباتت بنو تغلب على الثنايا مترَاصدةً لمن حولها من جنود العجم، وكان بنو شيبان وظليم، ومن معه باتوا بذي قار دون أموالهم وحريمهم.

قيل وإنَّ الطميح أراد أن يختبر رجال ربيعة فركب جواده في ليلته تلك، وكان قد ظل بيده لواء الملك الأكبر، وكان معه أولاد كسرى. قال بشر ابن مروان الأسديّ، فتخلل الطميح إلى قبائل تغلب وصعد الثنية التي عليها أبو جُدابة في الحيّ من بني جُشْمٍ فأبصر الطميحُ أبا جُدابة، وتطَّرفَ ليدنو منه، فلما دنا منه وثب إليه، ولوى بيده على عنان جواده وقال أما الجوادُ فمن خيل إيادٍ، وأمّهُ من خيلنا.

وأما الرجل، فمنعني عن معرفته الحديد الذي عليه، وأني لا أظنّه الطميح بن عبيد الأياديّ فابتسم الطميح وقال قاتلك الله يا أبا جدابة لا تكون هذه اللعنة إلا لك من بين العرب، ثم قال أخبرني عن شهاب قال هو على ثنية وحده ليس معه غيره من بيوت تغلب قال، والله لقد عرفته بالأمس بحملاته ولقد وجَدْتَهُ بمنزلة قبيلة فامضِ معي

حتى توقفني على شهاب، قال فمضى معه إلى شهاب وجمع بينهما، والتقى الرجلان، وتصافحا، وتسالما فقال شهاب عليَّ بعمرو بن ثعلبة وائتوني بصفية يا أبا جُدابة فأسرع إليهما، وأحضرهما إلى الرجلين شهاب، والطميح من آخر ساعته فلما اجتمع القوم أقبل عليهم الطميح.

وقال ما أراكم إلا أمست العجمُ مُتَفرَّجة، وأنتم على ضيق وضنك قالوا لا يهمك ذلك وما نحن عليه من ألم الجراح فإن الأجسام جريحة، والقلوب صحيحة وسوف تنظر في غداة عذلنا ولهم مثاناً من الشان فقالت له صفية يا طميح إن أردت خيراً لقيت أول النهار ونصحت فيه حتى إذا عرفت بالنصيحة وليتَ بقومك فلن يستقيم بعدك أحد من العرب، والعجم فقال أما ما ذكرت من الفرار فو الله إني منذ شهدتُ الحروب وحضرتُ الوقائع ما ولّيت أبداً ولا عُرِفْتُ بهزيمة.

وأما قومي فما منهم إلى من يريد لمقامي يجوز ولن يولي إلا قهراً واعلموا أن غداً يوم قتالٍ وصبر وليس يقعُ عليكم فيه من مراد لأن لواء الملك بيدي فإذا كان في صباح اليوم الثالث اعتذَرْت إلى الملك في حمل لوائه، وأقول أنا أريد أن أقاتل بقومي خاصةً، ثم انتدبوا لقومي مقاتلة رجالكم ولتكُنْ فيهم أنت يا عَمْروَ، وأنتَ يا شهاب، وأبوُ جدابة، وظليم بن الحارث فإن إياداً لا تولىَّ إلا عن قهر، وقباحة أمرٍ، وأعزِم على الفرار معهم لمساعدتكم قالت صفية يا طميح إذا انتدبت لقومك ساداتُ قومي فمن يقاتِلُ بسائر قبائل ربيعةَ ولا زعيم معها، ثم أنشأت صفية الحجيجة تقول:[الخفيف]

لَـيْسَ للعُجْـمِ نَصْرٌ في عَشِـيْري ... إنْ أَرَادَ الطُّمَـيْحُ نَجْـلُ الكِـرَامِ

إنْ تَوَلَّـتْ لَنَـا إيَـادٌ هَـزِيماً ... كَـانَ مِـنْهُم هَزِيْمَـةُ الأَعجَـامِ

وَمَلَكْنَـا العُلُـوَّ، والفَخْـرَ طُـوْلَ ... الـدَّهْرِ مِنَّـا وآخِـرَ الأَيَّـامِ

إنَّ نَصْرَ الطُّمَـيْحِ أكْـرَمُ نَصْرٍ ... حَنَـوِيٍ عَـلى بَنِـي الأَعَـمَامِ

فأجابها الطميح، وأنشأ يقول:[الخفيف]

لا تُـــوَلِّيَ إِيَـــادُ إلاّ بِضَرْبِ وَطِعَـــانٍ وبَلْبَلَـــةٍ وَزِحَـــامِ

فـاجعلوا إلى أَمَـامَ قَـومي عَمْـرواً في جُحَـيْمٍ وآخـرين كِـــرَامِ

مِـنْ بَنـي تَغْلِـبَ وَفِـيْهِم شِـهَابٌ وَظَلِـيْمٌ وغَالِـبُ بْـنُ رِمَـامِ

في سَـــوادٍ وعُـــدَّةٍ وَعَدِيْـــدِ عَادِيَـــاتٍ إلى العَـــدُوِّ سُـــوامي

لِيـولّي إيـادُ مِـنْ بَعْـدِ عُـذْرٍ ويَكُـونُ النجـاةُ في الأَقْـدَامِ

قال: واتفق القوم على ذلك وافترق كلّ إلى مكانه وباتت صفيةَ تطوف بعساكر قومها حياً بعد حيّ وهي تسمع ما يقولون فَسَمعتْ أقوالاً مختلفةً قبيحةً وجميلة، وتنكرت بشعر لعبد الله بن المسن الجشمي التّغلبي حيث يقول:[الكامل]

لم أَلْـقَ مـن طُـولِ الزَّمَـانِ شَـدِيْدَةً فيهـا العُلُـوُّ وطيّبـاتُ المَفْخَـرِ

مِثْـلُ الـذي أَهْـدَتْ إليـه صَـفِيَّةٌ لبنـي أبيهـا مِـنْ وَسِـيْمِ المَنظَـرِ

قَـدْ أكسَـبَتْ شَـيْبَانَ عِـزّاً طـائِلاً يَبقـى ويَخْلُـدُ في جَمِيْـعِ الأعصُرِ

جَـاءَتْ بِهَـا بِكْـراً هُنَـاكَ غَريبـةً في المجـد فَائِقَـةً عـلى ابنـةِ مُنْـذِرِ

طافَـتْ بِخَلْـقِ اللهَ ثـم تَحَـيَّرَتْ والحُـرَّةُ البيضـاءُ لم تَتَحَـيَّرِ

فَلَبِسْـتُمُ فَخْـراً عـلى كُـلِّ الـوَرَى بِصَـفِيَّةَ وبعَمروهـا اللَّيْـثِ الجَـرِي

لـولا صَـفِيَّةُ مـا اسْـتَقَامَتْ وائِـلٌ لجنـود كِسْرى بالوَشِـيْجِ الأَسْـمَرِ

مِـنْ أَجْلِهـا نالَـتْ رَبِيْعَـةُ مَفْخَـراً وَتَرَبَّعَـتْ فَـوْقَ النُّجُـومِ الزُّهْـرِ

قال: ثم وإن صفية لما سمعت الأبيات استحسنتها، ثم جاءت حتى مَرت على شهاب بن النويرة وهو جالس محتبياً بحمائل سيفه وهو يتمثل بأبياتٍ من الشعر وهو يقول:[الكامل]

أحْمـي، وأحْمِـلُ بُـالخميس المُلَجَّـبْ بُمهَـذَّبِينَ أَشَـاوِسَ مِـنْ تَغْلِـبْ

أَسْـمُو إلى الهَيْجَـاءِ أُقلِّـبُ صُـعْدِةً عَنَّـازةً، وأهُـزُّ حَـدَّ مُشَـطَّبْ

تَحْتي أَقَبُّ لا خَفِيٌّ هَيْكَلٍ رَيْدٌ قوائمه سَبُوحٍ سَلْهَبْ

مِنْ خَيْلِ نَاجِيَّةَ التميّمي الذي أَزْرَتْ كَرائِمُهُ بَخيْلِ الأَعْرُبِ

وعليه ألقى خَيْلُ كِسْرَى في غَدٍ وعلى كَسْرٍ لوائِهِ المتَقَلّبِ

اقِفُوا نُوَيْرَةَ في جَمِيع خِصَالِهِ أَرِثُ المكارمَ، والعَزَائِمَ مِنْ أبي

بالأَصْلَيْنِ دَعَامَةٌ في وائِلٍ المانعينَ عَنِ الفَظِيْعِ المغْضِبِ

فإذا التقينا في غَدٍ فَتَيَنّي كَرّي من الإصباح حَتّى المَغْرِبِ

وقَبيضَةٍ من نُضْحِ الحَجِيْجَةِ عِنْدَمَا يَعلو الغُبارُ عَلى الخُيول الشُّزَّبِ

إن تَدْعني لم تَدعني لِتَذمّ بصديقه متنَحِّشٍ مُتَعِيِّبِ

لأبَلْ دَعَتْ للرَّوعِ ذا أفنانه ذُو سَطْوَةٍ مِثْلِ الشِّهَابِ المُتَقَّبِ

تعلوا الفرائِضُ بالفَرِيدِ إذا دَحَتْ قِسْطاً لهَا في نَفْحَةِ المتطلّبِ

لو كَانَ يَرضى مُقْنَبٌ لَلَقِيْتُهُ ولكنتُ مُمْتازاً بِصُحْبَةِ مُقَنَّبِ

لكنّ لا يُرضي الحَجيجةَ مُقْنَبٌ في مِثْلِ هَذا العَارِضِ المُتَحَلِّبِ

بَلْ هِي يُرضِيّها التقدّمُ مَرّةً من بعد أُخْرَى من قِيَام مَرْقَبِ

قال: وباتت وائل بليلة عظيمة وصفيةُ تطوف، وتدور عليم إذا مرّت في طوافها بأبي جدابة وهو يمسح مَعارِفَ جواده وهو يقول: [الطويل]

غداً يَوْمُ فَضْلٍ للفريقين فاصبري وَكَرّى على الأَبْطَالِ كَرَّ المُدوّرِ

بِذَلِكَ أَوْصاني حِصَاني وَقَال لي تَصَبّرْ غَداً يا تَغْلِبيُّ وشمّر

وأُلبِستُ ثَوبَ العِزِّ عِنْدَ صَبَاحِهِ ولي عَضِدٌ مَوْصُولَةٌ بِمُذَكّرِ

وَتغلِبُ قومي لا تُرَامُ إذا غَدتْ إلى مَعْرَكٍ في مُضْعَفاتِ النّورِ

ستَخْبُرُ هاماتِ الأَعَاجِم صَحْوَةً إذا ما التقينا ما صَهَارَةُ مُنْذِرِ

ظَنَنتم بِعَجْلٍ ظَنَّ سُوءٍ، وأنّهم يُرَّقُون بَيْضَاً ذَاتُ أَصْلٍ وَمَفْخَرِ
أَشُدُّ عليها الطَّوْقَ جِيْدَ جِدَابَةَ وَأَشْنَبَ مِثْلَ الأقحوانِ المُنَوّرِ
لها حَسَبٌ يا ابنَ الدنيةِ في الوَرَى وَمُلْكِ كَأملاك البريّة حِمْيَرِ

فلما سمعت صفية كلام أبي جدابة وَعَتْ شِعْرَهُ وَعَرفَتهُ، ثم ولَّت عنه فحان منه التفاتة إليها فإذا به يعرفها على ضوء القمر، ثم مَضت لشأنها.

قال بشر بن مروان الأسدّي وإن آخر بيوت ربيعة من ولد عمرو بن ثعلبة وشهران ويكلب لما بلغتهم الأنباء عن الملك أنه يريد يقصد قومهم بكر، وتغلب وهم سُكّان السّواد وعلموا أنه إن ظفر بهم طَحَنُهم بكَلْكَلةٍ فتأهبوا لميقات قصده.

وقد عرفوه فنفر كل قوم ممّن كان حولهم، وكان أوّل من أدركهم في تلك الليلة غانم بن شعثم من بني يكلب، وبنو شهران وذلك بعد رجوعه من سفره مع الأمير سلقمة بن الحباب أيام استفتح أرض تهامة لخمس حججٍ وقدم بعد ذلك مالك بن نصيب في تلك الليلة بقومه عنز ودُفعت بعدهم راياتُ بني عبد القيس عندّ الصّباح، وتأهّب الناس للقتال.

قال وإن قبائل ربيعة حضَرتْ في قومها من كل أرض ولم يتخلف منهم أحد، والتقوا هم وجندُ الملك واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلكُ، ووقعت المكافحة فلم يزالوا يومهم ذلك في القتال، والضراب، والنزال إلى غروب الشمس، وبات هؤلاء وهؤلاء ينيرون النيران وباتت صفية تطوف في ليلتها أشدّ الطواف، وتثبتاً لقومها أشدّ من الليلة الأولى فجازت على رجل من قومها بني عجل.

وكان قد أصيب بسهمٍ في الوقائع الأولى في عينه اليمنى فهي يومئذٍ عوراء، ثم قُتل أخوه في ذلك اليوم، وأصيب جواده بسهم فأمسى مريضاً فسمعته صفية وهو رافع صوته بأبيات وهو يقول:[البسيط]

عَيْنِي اليمينِ بها دَاءٌ مِنَ العَوَرِ وذا جوادي بِهِ سَهْمٌ مِنَ الوَتَرِ

واليـومَ مَيْمُـونٌ في الحَيـيّنِ مُنْجَـدِلُ ... ياليتـه زَيْـد بَعْـضَ الشيء مـن عُمْـرِي

تَـالله لا زِلْـتُ أبكيـه، وأَنْدُبُـهُ ... مامُدَّ عُمْري بِضَوءِ الشَّمْسِ، والقَمَرِ

وفي الهَجَـايِر، والأَظْـلام أَنْدُبُـهُ ... نَعَـمْ، وأبكيـه بالأَسْـفَارِ، والسَّـحرِ

لا قَـدَّسَ اللهُ حُرْقَـاءَ ونَقْلَتَهـا ... إلى صَـفِيَّةَ بالجِـديِّ مـن سَـفَرِ

كَيْـفَ اللقـاءُ غـداً، والعَـيْنُ ذَاهِبَـةٌ ... والسَّـيْفُ ذو فَلَـلٍ، والطَّـرْفُ ذو زَوَرِ

هـذى دَواهـي اِبْنَـةُ العِجْلِيِّ لاَ سلِمَت ... ولا سَـقَاها إِلَـهُ العَـرْشِ بـالمطرِ

كَمْ قَدْ حَرِصْتُ وَكَمْ كَافَحْتُ جندهُم ... وكـم تَوَشَّـحْتُ في أثـوابِ مُصْـطَبِرِ

وَطَـال حتـى قَتَلْنَـا في مَعَاطِفِـهِ ... كَـمَا فَنَـى الشَّـيْخُ لُقْـمَانَ مـع الـبَشَرِ

لابُـدّ مـن جُنْـدِ كِسْرى في صَبَاحِ غَـدٍ ... والعَـدوُّ بـالرُّمحِ، والصَّمْصَـامَةِ الـذِكرِ

فَـإِنْ نُصِرنـا فَقَـدْ حُطْنـا خَفِيْرَتَنـا ... وإنْ خُـذِلنا أَناخُونَـا عـلى الأَثَـرِ

هـذا الـذي هـو عِنْـدي لَسْـتُ أَجْحَـدُهُ ... في آلِ قَـومي ولا في البَـدْوِ، والحَضَرِ

فلما سمعته الحجيجة قالت لحاك الله يا أخا عجل، وأحسن إليك لقد أحسنت في شيء، وأسأت في غيره، وتالله إنك لشجاع جبان قال وبما أنا شجاع جبان وما الشيء الذي أسأت فيه، والآخر الذي أحسنتُ فيه قال أحسنتَ في صبرك في الوقائع الأولى، وأسأت في نَدَمك لشأن ذهاب عينك وقتل أخيك وشجاعتك أنك مجدّ في اللقاء غداً وجُبنك في تجاريك إن لا يحملَك جوادك قال، والله يا صفية ما كنت أكره أن ينالك الذي نالني من عَوَر العين وقتل الأخ ويكون ذلك بك وانظر كيف تصنعين، وأتشبّه بك، وأسلك طريقكِ ويل أُمك وهل كان يرضيك قَتْلُ أخيكِ، وتصبرين عن البكاء عليه، وتذهب عينُك ولا تأسفين عليها فكرّي في ذلك واعتبري به وإني أرجو أن يحلّ بك عور وثكل ولا يَسئوكِ ذلك فلما سَمعْتَ صفية منه ذلك لم تُجِرُ له جوابها تردّه عليه.

ثم ولّت عنه واحتملت له، وويل أمّك لم يقله لها أحد من قبله ولا من بعده، ثم أن

صفية جاوزت من عنده حتى جاءت عشيرتها وجازت حتى جاءت عسكر كسرى وذلك لكثرة الجنود ولا تستكثر أحداً على أحد وطافت عليهم قوماً بعد قوم لِتَقْتَبِسَ منهم خبراً فلم تزل كذلك حتىّ مرت على قوم من إياد، وأنّها تسمع من بعضهم أقاويل تعَّينت أنهم أشدَّ طلباً عليهم من جميع مَن حضر من جنود العرب، والعجم وإذا بقائل منهم يقول يا ليت ربيعة حضَرتْ من كل فج لتكسر جنود الملك، وتستقيم وذلك شيء ما ناله أحد سواهم قال بعضهم لنجهدً في قتل رجالهم وسبي ذرا ريهم وخيلهم، وأموالهم وليكوننّ أوّل عسكر الملك في غدٍ.

ثم قال لمن حوله ما تقولون قالوا نقول كما تقول إن الملكُ قد عَمَّنا فَضلُه وَوَسعَنا بذله فتعاقدوا بنا على نصيحة الملك وقتل ربيعة فَسمعْت صَفيةُ ذلك منهم وعرفتهم فلمّا كان الفجر الأوّل أقبلت صفية على تعبئة الجيش وانتدبت منهم لإياد فرسان قومها ومقاتلتها فلما اصطفّ الفريقان وعرفت مكان الطميح في إياد.

وكان قد اعتذر الملك في حمل اللواء في ذلك اليوم فقالت لأبي حدابة شأنك وشأن الثنايا بقومك فعليك كفايتهم قال إنا كذلك، وأزيد على مرَادك، ثم قالت لشهاب ابرز بفرسان قومك في لقاءِ الطميح وقومه قال فأسرع شهاب، ثم نادت بغانم بن شعثم فأمرته أن يلحق شهاباً في قومه فأسرع شهاب، ثم حثت بعيرها الى ظليم بن الحارث فأمرته أن يلحق شهاباً وغانما فأسرع ظليم في أثرهما، وأنشأ يقول:[الرجز]

اليَــوْمَ يَــوْمُ العَلَــقِ المُخْتَــارِ	يَــوْمٌ عَظِــيْمٌ ظَــاهِرُ الأَخْبَــارِ
يَــوْمُ اللقــاءِ العَصَبْصَــبِ الهَــوَّارِ	وَخَيْلُنَــا مُثْــيرةُ الغُبَــارِ
أَنَــا ظَلِــيْمٌ جِئْــتُ فِي مِقْتَــارِ	وَجُنْــدُ كِسْرَى يَــدْنُ لِلفِــرَارِ
يــا رُبَّ لَيْــثٍ في الحُــرُوبِ ضَــارِي	جَدَّلْتُــهُ بِصَــارِمٍ بَتَّــارِ

قال، وتقدم ظليم في قومه بني يشكر حتى لحق شهابا، ثم إنَّ صفية ركبت بعيرها إلى الحرقة وقالت لها كوني قريبة منيّ فوقفت ابنة الملك على جانب صفية قريبةً منها، ثم أنها

انْتَدَبَتَ أربعة الآف فارس من قومها بني شيبان ونادت بأخيها عمرو بن ثعلبة وقالت له إنّي التمست الليلة جند كسرى فما سمعت علينا أحرص من رهط الطميح، وكان قد أوصانا بلقائهم بأشد قومنا لنكسرهم وإذا ولّوا هَرْباً ولىّ معهم الطميح، ثم لا يستقيم العربُ الذين هم من جند كسرى ولا العجم ما لهم بعد ذلك من استقامة، ثم أنها أنشأت تقول: [الرجز]

يا عمرو يا مَنْ قَدْ أجَار الحُرْقَةْ	يا رأس شَيْبَانَ الكُماةِ المُعْرِقَةْ
يا فَارِسَ العَادية المحققةْ	اليَوْمَ يَوْمٌ ما العُيُونُ أرِقَةْ
إذا رَأَتْ فِيْهِ دِمَاءً مُهْرِقَةْ	والعُجْمُ صَرْعَهن جَمْعُهم مُفْتَرِقَةْ
مَقْتُولَةٌ تَنْفِرُ شَتَّى قَلِقَةْ	أَدْرِكْ شِهَاباً فهو لي اليَوْمَ الثقةْ

أكْرِمْ خَيْلي مَنْ سَعَى أو لَحِقَهْ

ثم التفتت إلى الحرقة وقالت هذا آخر يوم بيننا وبين هؤلاء القوم فأسفري على عمرو، وأوصيه بما شئت قال فأسفرت الحرقة على عمرو بوجه زاهر وحسن باهر، وأنشأت تقول:[الكامل]

حَافِظْ على الحَسَبِ النفيسِ الأَرْفَعِ	بِمُدَجَّجِيْنَ مع الرّمادِ الشُّرَّعِ
وَصَوَارِمَ هِنْدِيَّةٍ مَصْقُولَةٍ	بِسَوَاعِدَ مَوْصُوْلَةٍ لم تُمْنَعِ
وَسَلا هِبَ مِنْ خَيْلِكُمْ مَعْرُوفَةٌ	بالسَّبْقِ عَاديةً بِكُلِّ سُمَدَعِ
واليومَ يَوْمُ الفَضْلِ مِنْكَ وَمِنْهُمُ	فاصْبِرِ لِكُلِّ شَدِيْدَةٍ لم تُدْفَعِ
يا عمرو يا عمرو الكِفَاحَ فتى الوَغَا	يا لَيْثَ غَابٍ في اجْتِمَاعِ المجمعِ
احْذَرْ علىّ بعيد صبرك أُظْفرن	وتُضَيّعَ مَجْداً كان غَيْرَ مُضَيَّعِ
أَظْهِرْ وَفَاءً يا فَتَى وَعَزِيْمَةً	وَكَمَا سَمِعْتَ بِصَبْرِكُم في تُبَّعِ

وقالت الحرقة ابنة النعمان أيضاً. [الطويل]

فَـدَيْتُكَ مـن عَمـرو يَغـدُ ويعتـدى بِـهِ كُـلَّ حَـدٍّ لا يجـورُ بهائِـلِ
رَغمنـا بِعَمـرو أنـفَ كِسْرَى وَجُنْـدِهِ وما كـان مَرْغُومَـاً بِكُـلِّ القَبَائِـلِ
وهـذا قُصـارى الأمـر فاجْمِـل محسرّاً لكميّـك مـا بَـيْنَ الظُّبَـا، والـذَّوَابِلِ

قال بشر بن مروان الأسدي: حدثني عبيد الله بن صُبيح الكلابيّ عن ذوّيب بن نافع الحنفي أن صفيّة قالت لأخيها الحق شهاباً وهذا اليوم غير ما سلف من الأيام قال فتقدم في الخيل المنتدبة من قومه، وأنشأ يقول:[ ]

قـل لِيْ لشـيبان الكِـرَامِ جَاهِـدُوا حَـاموا عـلى جَـارَتِكُم وَجَالِـدُوا
وقـاتِلوا وَطَـاعِنوا وَطَـارِدُوا فَعِنْـدَ ذَا طَابَـتْ لَكُـمُ محَامِـدُ

ولقَيتْ مقاتِلةَ ربيعة الحيّ من إياد، وهم يؤمئذٍ في قوة من قومهم في العُدّة، والخيل المسومة، والسلاح الكامل، والعزّ المتطاول، ثم أن صفية رمت من بعدهم شهران ويكلب وعنز وهم بنو عبد القيس للآخر من جند العرب الذين هم مع كسرى وجعلت بكراً، وتغلب للعجم خاصة، ثم أنها جعلت توصي أبا جدابة، وتحرّضه على خوض العساكر، وأنشأت تقول:[الرجز]

إنَّ الجُنُـودَ حَثَّهَـا طلاّبهـا والأزْرَقِيُّـونَ فَـذَا شِـهَابُهَا
مِقْـدُامِها طَعَّانُهَـا ظَـرّاَ بُهَـا زَعِيمُهَـا فَارِسُـهَا غَلاّبُهَـا
مُـرْدى الأعَـادي تَغْلِـبُ سُـلاّبُهَا حَمِيْمُهَـا حَفِيْظُهَـا وَهَّابُهَـا
مِتْلافُهَـا مَخِلافُهَـا كَسَّـابُهَا وَأنْـتَ مِـنْ بَعْـدِ الفتـىَ نَقّابُهَـا

ثم جعلت تحرضه أيضاً وهي تقول:[الرجز]

إيْهَـاً جَـذَّابُ سَـيِّدَ الأعْـرَابِ يـا مَعْـدَنَ الطِّعَـانِ، والضِّرَابِ
يـا طَيِّـبَ الأحْسَـابِ، والأنْسَـابِ قُـمْ لي مَقَـامَ سَـيّدي شِـهَابِ
بـالعزم، والحَـزْمِ وبالعَـذَابِ شَـمِّرْ وَقُـمْ ياوَيْـكَ في النِّقَـابِ

قال رواة هذه السيّرة فعند ذلك أمر أبو جدابة بصائح في تغلب أن يهبط جميع من في الثنايا فَهَبطُوا، والتقوا هم، ومن يليهم من جند كسرى وكذلك عنز وشهران ويْاهس ويكلب واقعت جند العرب واقتتلوا قتالاً شديداً وكذلك بنو بكر، وتغلب واقعت أولاد كسرى، ومن معهم من جند العجم، قال رواة هذهِ السيرة إن العجم، والعرب التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً قيل وإن مقاتلة ربيعة افترقت هم وإيادٌ عن قَتل وجراح، ثم أنّ شهاباً برز بين الصفين وكشف عن اسمه وعرّف بنفسه ونادى بالبراز فبرز إليه مالك بن المروّح.

وكان أشدّ إياد من ذَوي النجدة، والباس، وكان يُعَدُّ بمائة فارس فالتقى الرجلان واقتتلوا ساعة واختلف بينهما ضربتان سَبَقَه شهاب بالضّربة جدَّلَة صريعاً ونادى بالبراز فبرز إليه سَميُّهُ شهاب بن المروح أخو المقتول، وكان أشجع أخوته فاقتتلا قتالاً ساعة ملية واختلف بينهما ضربتان سبقه شهاب بان النويرة بضربة جدّله صريعاً فتواترت فرسان ابن المروّح على شهاب وهم إثنى عشر فارساً فذهبوا كلّهم بيد شهاب بن النويرة وكانوا أشدّ فرسان إياد بعد الطميح فلما قُتلوا أولاد المروّح قام شهاب بن النُوْيرة في ركائبه، وتمطى في يّديه ونادى بالحملة على إياد، والتقى القومُ الكرَّة الثانية، ووقعت المُصابَرة ولم تُزل إياد إلاّ بقهر عظيم.

وقد كثر فيهم القتل، والجُراح فعند ذلك ولّوا هَرَباً، والطميح في آخرِهم ولما ولّت إيادٌ حمل شهاب بن النويرة وعمرو وظليم بمن معهم وحملت عنز وإخوانهم على من يليهم فولّوا هرباً خلف إياد، وأمدّها أبو جدابة، ووردت تغلب على من يليهم من جند الملك لأن عمرواً وشهاباً وظليماً ازدادوا قبائل بني شيبان على أولاد الملك، ومن معهم واقتتلوا قتالا شديداً وصَبرَت أولاد الملكَ بقَومهم فيالك من يوم شديد فلم يزالوا في المضاربة إلى غروب الشمّس وقَتَلوا أولاد الملك كُلّهم وكانوا تسعةً فعند ذلكَ انهزمت جنود العجم وانفضَّتْ، وكان الملك في قَبتّه على فراش من حرير فلوى عليه الطميح

وقاتَلَ دونه ولم تكن حياته إلاّ به.

قال بشر بن مروان الأسدّي، وأن قبائل ربيعة تغنم كل قوم منهم إنفالَ أصحابه فبينهم ومال كل قوم إلى محطّة أصحابهم، وكان أكثر غنائِماً بمال العجم فملأت بنو بكر، وتغلب أيديهما من الذهب، والفضة، والحرير، والديباج، والؤلؤ، والدُر، والياقوت، والربرجد، وكلّ ألة حَسَنَةَ وانكَشفت عنهم الكروُبُ ونالوا كلّ محبوب وافترقت قبائل ربيعة كلّ إلى مستقرّه بعد النّصر، والظّفر، والعزّ الرفيع وقالت الحرقة وابنة النّعمان في ذلك: [الطويل]

لقد حَازَ عمرو مَعَ قَبَائِلِ قَوْمِهِ ... فَخِاراً سَمَا فَوْقِ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ

هم قَلَّدُوا الحَياً وَغَسَّانَ مِنَّةً ... بِسُمْرِ القَنَا، والعَادِيَات الشَّوازِبِ

وَكُلّ غُلامٍ بالكَرة بَاسِلٌ ... أَبيّ جَريءٌ للحروب مُطَالِبِ

بَقلب عسّالا وَيَنْدُبُ صَارما ... وَيلبسُ يَوْمَ الرَّوْعِ ثَوْبَ المُحَارِبِ

حمَتني بَنو شَيْبَانَ، والحَيُّ صَلْهَبٌ ... بِقَبِّ المذاكى، والسُّيوفِ القَواضِبِ

نَجَوْتُ بعمرو منِ مَطَامِعِ كَيْسَرٍ ... وعَدُو شَهَابٍ يَوْمَ رُوْعِ المَقَانِبِ

ولله مَولاْي جدابة نِعْمَ ما ... يُدَبّرُ في كُلّ الأُمورِ اللَّوَازِبْ

بِأَسْمَرَ عَسَّالٍ، وأَبيَضَ قَاطِعٍ ... وَاكْمَتَ وَرْدِيٍّ وَعَيْنِ مُرَاقِبِ

وَكَمْ خَرَجَ مِنْهُ عَلينا بِغَارَةِ ... وَكَمْ حَمْلَةٍ يَوْمَ اِلْتِقَاءِ الكَتائِبِ

وقال شهاب بن نويرة في ذلك:[الوافر]

أجَرْنَا للحجيْجَةِ مَنْ أَجَارَتْ ... بِتَغْلَبَ قَوْمِنَا أُسْدُ البِّطَاحِ

بِحَيٌّ حُلاحِلٍ تَغْلِبيٍّ ... يَزُورُ الرَّوْعَ بالسُّمْرِ المُتَاحِ

وَكُلّ مُثَقَّفٍ لَدْنٍ قَويمٍ ... وَكُلّ مُضَمَّرٍ نَهْدٍ وقَاحِ

وَكُلّ حُلاحِلٍ أَرْقَميٍّ ... رَبِيطَ الجَأْشِ مَوْسُومَ الصَّبَاحِ

أُسُودٌ مِنْ بَني جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ   مُوَاصِلَةَ الغُدُوِّ إلى الرَّوَاحِ

أجَبْنَا دَاعِي الغَمَرَاتِ لَمّا   دَعَا، والنَّفْسُ تَخفِقُ في جَنَاحِ

فأفعَمْتَ الثنايا غَيْرَ عِيٍّ   بِكُلِّ كَتيبَةٍ شَعْوَا رَوَارِحِ

شَهِدْتُ العَجَمَ مَشْهَدَ ذِي حِفَاظٍ   أبُوهُ نُويرَةٌ لَيْثُ الكِفَاحِ

فَلَمْ الءِ في الوَغَا زَنْدِي بِكَأْبٍ   وَقَدْ نَادى الطُّمَيْحُ بِلا بَرَاحِ

بَلَى أقْصَدْتُ نحو البُؤْسِ بَحْرَاً   مِنَ الخَطِّيِّ بِمَرْكَبِ بالرِّمَاحِ

وَكَانَ سَفِينَةُ القِبِّ المُذَاكي   وَكَانَ اللُّجُّ مِنْ عَلَقٍ مُتَاحِ

فَكَمْ مِنْ عَافِرِ الخَدَّيْنِ فِيْهَا   وَكَمْ يَوْمَ الكَرِيْهَةِ مِنْ جِرَاحِ

فأصْبَحَ مَنْ حَمَيْنَاهُ مُحَاطَاً   مِنَ الأَدْنَاسِ بِالبِيْضِ الصِّفَاحِ

تُنَادِينَا صَفِيَّةُ بَعْدَ عَضْبٍ   وأدْرَكَ حَتْفَهَا هَيْضَ الجَنَاحِ

فَوارَيْتُ الضَّغَائِنَ حِيْنَ نَادَتْ   وَجِئْتُ مُشَمِّراً شَاكِي السِّلاحِ

أُنَاصِرُ مَعْشَراً كَانُوا بِيُدُوْنَا   بِقَطْعِ أواصِرٍ فَلْيَلْحُ لاحِي

هُمُ قَتَلُوا كُلَيْبٍ بِغَيْرِ جُرْمٍ   ولم يَسْقُوهُ مِنْ مَاءٍ قُرَاحِ

وَثَارَ مُهَلْهِلٌ لِدما كُلَيْبٍ   فَشَدُّوا أزْرَ جَسَّاسِ الرِّمَاحِ

وقالوا لا سَبِيْلَ إليهِ حَتى   نُغَيِّبَ بالصَّفَائِحِ، والصِّرَاحِ

لَعَمْرُ أبي لَقَدْ غَطَّيْتُ حَرْبَاً   بَعْدَ سَجِيْرَةِ البَطَلِ المُشَاحِ

إلا يَا عَيْنُ فَابْكِي لي كُلَيْبَا   مَعَاً وَمُهَلْهِلاً وابْنَ الوِشَاحِ

وَمَنْصُوراً وَمَيْمُونَا وبَكْراً   وَفَارِسٌ لاحِقُ الفُرسِ الوِقَاحِ

وَحَنْظَلَةَ فابكيهِ وَعَمْرَوا   ولا يَرْقَا لِعَمْرُو، والصَّبَاحِ

نَعَمْ واسْتَعْبِرِي لأبْنَيّ رَبِيْعٍ   فَيَالَكِ مِنْ دَمٍ غَيْرِ المُبَاحِ

وَشَــعْثَمُ قَــدْ تُــوَرّقني دِمَــاهُ غَــدَاةَ سَــقُوهُ مِــنْ مَــوْتٍ ذِبَــاحِ
ونِمــراً، والنَّصــيبَ وَعَبْــدَ قَــيْسٍ وَذُو الــزُّورَين غَيْــلٌ بِــذي نِطَــاحِ
وَذُو الــرُّمحَيْنِ قَــدْ قُتِلُــوا سَــنَاهَا بَنُــو بَكْــرٍ واذْرُوا بالرِّيَــاحِ
وَجَــابِرٌ، والمُــرَوَّحَ يَــوْمَ قينــا وَمَرْثَــدُ المجــدَّلُ في البِطَــاحِ
وَآلُ مُنَبِّــهَ لم يُــذْخِرُوهُمْ بِــوَارِدَةٍ، وأُخْــرَى باللِيــاحِ
وَعَبْــدُ الله، والمحــرومَ أوْدوا بأيــدي مُــعْسِرٍ «سُــمٌّ» قِبَــاحِ
فَــوَارِسُ تَغْلِــبَ قُتلــوا وإنــاَ قَتَلْنــا مِــنْهُمْ يَــوْمَ الصَّــبَاحِ
قَتَلْنَــا جَحْــدَراً، وأبَــا تَمِــيْمٍ وَمَرْوانــا وَكَــبْشَ بَنــي رَبَــاحِ
وَزَيْــداً، والحُبَــابَ وَعَبْــدَوُدٍّ وَذُهْــلاً، والعُبَــيْسَ وَذُو الفَــلاحِ
وَعمرانــاً وجِبْرَانَــاً وَبَكْــراً وَآل عُبَيْــدٍ في حَــدِّ اللقــاحِ
وَيَــوْمَ عَــمَارَةَ يَــوْمٌ كَرِيْــهٌ وَيَــوْمَ الطَّلْــحِ أَشْــنَعُ مِــنْ طَــلاحِ
ألا يــا جُنْــدُ كِسْرَى لا خــذيتم جَمَعْــتم بَــيْنَ مُلْحِــيٍّ وَلاحِ
ألا يَــا جُنْــدُ كِسْرَى لا خــذتم فَثَــوَّرْتُم شِــهَاباً في السِّــلاحِ
أَغَــرْتُ لأجْــلِ عِــرْضِي لِقَــوْمي بَــدَوُا بالغَــدْرِ فِيْنَــا، والتَّلاحِــي

فأجابه ابن زائدة التغلبي واسمهُ قتيدٌ: [الوافر]

عَــدَاني بالــذَّنَائِبِ مــا عَــدَاني وَشَــيَّبْ مِفْرَقِــي قَبْــلَ الأَوانِ
بَنــي ذُهْــل قَتِيــل العُجْــم أرْدَوْا كَلْبَــيهمُ بمطــرور السِّــنَانِ
فَصَــارَتْ طَعْنَــةٌ بــالظَّعْنِ دامَــتْ عــلى كُــلِّ الظَّعَــائِنِ، والزَّمَــانِ
دَعَــاني مِــنْ صَــفِيَّةَ يَــوْمَ بُــؤسٍ ولــو كَــان السُّرُورُ لمــا دعــاني
دَوَاه للأعــاجم مِــنْ مِئَــاتٍ أُلُــوفٍ يَقْــتِحمْنَ بهــا الأمــاني

يَرُومُونَ اِبْنَةَ النُّعْمانِ سَبْياً ... وَكَمْ مِنْ شَطْبَةَ غَيْرِ الحِصَانِ

وَكَمْ مِنْ ضَرْبَةٍ تابا عليها ... وَعَاجِلِ طَعْنَةٍ يَوْمَ الرِّهَانِ

وَقَدْ غُصَّتْ فوارُسها بِرِيْقٍ ... وَسَلْماهم هُنَاكَ فَهُو شَانِ

لأنهم بَنُو عمَرو وَذِخْرٌ ... تُرَجَّى للزَعَازِعِ، والأَمَانِ

أَجَارَتْ وهي وَاثِقَةٌ بَعَدْوي ... وَكَرِّي في العَجَاجِ المُسْتَبَانِ

بِتَغْلِبَ لاعَدِمَتْ بِكرٌ خَيْلِي ... وَعَدْوِ شِهَابٍ في ضَيِّقِ المَكَانِ

دَعَتْ أُمُّ المَكَارِمِ فَاستَجبْنا ... حَجَيْجَةَ وَائِلٍ في عُنفُوانِ

بِكُلِّ مُضَمَّرٍ عَبْلٍ شَوَاهُ ... عُقَالِيٍّ وَذُو شُطَبٍ يَمَانِي

تُقَارِعُ مِنْ مَعَدٍّ ما استطَعنا ... وَنَحْمِي العِرْضَ مِنْ سِمَةِ الهَوَانِ

نَسِيْتُم يا بَني بَكْرٍ لِقَومي ... مُقَامَاً مِنْهُ يَبْكِي الفَرْقَدانِ

وَيَوْمَ نَوَارَةٌ، والخَيْلُ عَضَّتْ ... فَوارِسَها الشُّعَاةِ مِنَ الحِرَانِ

أَرَى آلَ القَبَائِلِ مِنْ مَعَدٍّ ... أذاعَت في رَبِيْعَةَ بالتَواني

وتُنْسَوْا من ربيعةَ يَومِ فَلَجٍ ... وَأَيَّامَ العُوَيرة، والعُشْرَانِ

أُزِيْنَ النَّقْعُ فوقها سَمَاءٌ ... عَزاليها دَمٌ كَالأُرْجُوَانِ

سَنَحِملُ عَنكُمُ أَعْبَاء مَجْدٍ ... إذا لم يَحْمِلاه الأَبْهَرانِ

وَنَكْفِي مَنْ يَغِيْبُ إذا حَضَرنا ... وَنَحْنُ الكافُلونَ لَدَى المَعَاني

أَتِيْهُ يَا بَني مُضَرَ علينا ... كَتِيْهِ الأوّلين بَني فُلانِ

وما خَيْرُ الذِّرَاعِ بِغَيرِ كَفٍّ ... وما خَيْرُ المشل بلا رِهَانِ

إذا صِيْنَ الجَوادُ لغَير رَوْعٍ ... فما هو في البَحِيْرَة بالمُصَانِ

إذا العَذْرَاءُ عفّتْ عَنْ عُيُوبٍ ... فَما هِي بالحجائلِ بالحَصَانِ

إذا لم يَــنْجَلي الصَّــفَّانِ يَوْمَــا عَــنِ العِلْــقِ المِشر النَّهْنَهَــانِ

فــما فَــرَحُ السِّــبَاعِ وَمَــا تَرَجَّــى نُســورُ الجَــوِّ في ذَاكَ المكَــانِ

أيعْفونــا الأَعَــاجِمُ عَــنْ صَــعِيْدٍ بُكِــلِّ الطَّــرْفِ مِثْــلِ الطَّيْلَسَــانِ

بَأَجْنَــــادٍ كَثَاقِــــدٍ بِكُــلِّ مُشَــوَّهٍ عِلْــجٍ مُشَــانِ

وقــد حَشَــدَتْ بَنُــو إِسْحَاقَ فيهــا كَثِــيْرَانٍ بِتَلْقَــاءِ الــدُّخَانِ

وَعِلْمُكُــمُ بــذلِكُمْ مُحِــيْطٌ وَأَنْــتُم دَعْــوَةُ الــدَّاعى المــدانى

ألا نَخْشَــى عَلَــيكُم بَعْــدَ هَــذَا بقايــا الــدَّهْرِ في كَــوْنٍ وَكَــانِ

وقال ظليم بن الحارث بن حلزَّةَ اليشكري في يوم ذي قار: [الطويل]

أهاجَــكَ طَيْــفٌ زَارَ مِــنْ أُمِّ تَغْلِــبَ نَفَــاضَ بِــدَمْعِ الوَالِــهِ المُتَكَسِّــبِ

يَهِــيْجُ مَتْبُــولَ الفُــؤَادِ مُتَــيَّماً بِــذَاتِ الثَّــرَى أُمِّ الوِشَــاحَيْنِ زَيْنَــبِ

تَــذَكَّرْتُ أَيَّــامَ الصِّــبَا وَذُؤابَتِــي تَمِيْسُ متــى سَــمَيْنَ مــن فَــوْقِ مِنْكَبِي

وَزَيْنَــبُ لا تُلْحَــى إذا هِــيَ أَقْبَلَــتْ تَمَثُّــلَ مُلْــدَ الشَّــادِنِ المترِّــبِ

خَبَرْنَجَــةٌ تُصْــبِي الحَلِــيْمَ إذا رَنَــتْ بــأَحْوَرَ فَتَّــانٍ فَتُــوْرِثُ مُحَجَّــبِ[1]

يُلِيْــتُ لَعَمْــرِي في الشَّــبَابِ بِغَــادَةٍ مُنَعَّمَــةٍ هَيْفَــاءَ غَيْــدَاء مُكْعِــبِ

فَــما زِلْــتُ عَصْرَاً في حَبَائِــلِ زَيْنَــبِ إلى أَنْ كَسَــاني الــدَّهْرُ حِلَّــةَ أَشْــيبِ

وَنَفضْــتُ عَــنْ فَضْــلِ الحِسَــانَ مُوَلِّيَــاً إلى صَــهَوَاتِ عَــنْ عَنَــاجِيْجَ شُــزَّبِ

إلى كُــلِّ خِنْذِيْــذٍ يُسَــابِقُ ظِلَّــهُ وَكُــلِّ رَقِيْــقِ الشَّــفْرَتَيْنِ مُشَــطَّبِ

وَسَــابِغَةٍ مَوْضُــونَةٍ تَبعيــة أُسَــامي بهــا الأعــداءَ في كُــلِّ مَوْكِــبِ

وأَخْضُرُ فيهــا الــرَّوْعَ لا مُتَوَرِّعَــاً وَلابِجَبَــانٍ في الكَرِيْهَــةِ تَغْلَــبِ

(١) خبرنجة: من النساء الناعمة الحسنة الخلق الضخمة القصب اللسان (خبرنج).

إذا ثـار نَقْـعُ الخَيْـلِ في الجَـوِّ خِلْتَنـى　　كَشَـيْطَانِ مَـرْجٍ في العَجَـاجِ تَشَـعَّبِ

أُغَـادِرُ أَشَـدَّ الحَـرْبِ صَرْعَـى بِعَاسِـلٍ　　وَأَبْـيَضَ قَطَّـاعٍ بِكَـفٍّ مُرَسَّـبِ

أُتَـابِعُ فِيْهَـا لِكَـرٍّ عِنْـدَ زِحَـامِهَا　　بأَقْبَحَ رَاحِـى الصَّدْرِ أَكْمَتُ سَلْهَبِ

شَـهِدْتُ بِـهِ يَـوْمَ العَظِـيمِ فَلَـمْ أَخِـمْ　　وَيَـوْمَ أَراطَـا، والغُـوَيْرِ وَزَرْقَـبِ

وَمِـنْ أَرْضِ غَـيْلانَ سَـمَوْتُ بِغَـارَةٍ　　وَكُنْـتُ لهَـا كالرَّاصِـدِ المُتَرَقِّـبِ

وَكُنْـتُ أَمَـامَ الخَيْـلِ في الغَارِتَـاةً　　وعُلـواً بها طَـواراً لما بَـيْنَ مَرْقَـبِ

إلى أَنْ لَقِيْـتُ العُجْـمَ، والقَـوْمَ سَـادَةٌ　　وَفِتْيَـانِ بَكْـرٍ كالسَّـعِيْرِ المُلَهَّـبِ

فَسِمْتُ بقـومي بِـارِقَ المَـوتِ عَامِـداً　　وَوَسْـطُهُم مِـنْ مُزْنَـةَ المتلَحِّـبِ

وَأَعْلَنْـتُ صَـوتِي واعْتَرَفْـتُ بِمِـعْشَري　　فَـأَوْلَجْتُهم في مِقْنَـبٍ بَعْـدَ مِقْنَـبِ

وَأَصِـلَيْتُهُم مـا أَوْقَـدَ الحَـقُّ قـبلهم　　فَسَـاقوا كـما لها بالوَشِـيْجِ المُـذَرَّبِ

بِكَاسَـاتِ هِنْـدِي وَخَـوْضٍ مـن الرَّدَى　　وَسَـاقٍ كَمِـيِّ القَلْـبِ لم يَتَهَيَّـبِ

فـما بَرِحُـوا حَتَّـى تَجَـلَّى غُبَارُهَـا　　وَأَعْقَبَـتِ العُجْـمَانَ أَقْـبَحَ مَكْسَـبِ

فلّلـهِ قَـوْمٌ تَغْلَبِيـون شَـمَّرُوا　　لقـد نَصَـحُوا في يَـومِ قـارِ المُطَيَّـبِ

سَـمَتْ بِشِـهَابٍ نَخْـوَةٌ تَغْلِبِيَّـةٌ　　فَـنِعْمَ المُرَجـى عِنْـدَ يَـوْمٍ عَصَبْصَـبِ

تـزاَورَ عمـرواً حـين نَـادَاهُ قَانِعَـاً　　فَلَـمَّا دَعَـا حَـازَ الثنايـا بِتَغْلِـبَ

نَـازَعْنَ وَلاَجَ الثُّغُـورِ عَرَمْـرَمِ　　كَثِـيرُ الوَغَـاجَمُّ الصَّـهِيْلِ مُـذَرَّبِ

أَجَـابَ اِبْنَـةَ العِجْـلِيِّ مِـنْهُم رِجَالُهَـا　　شِـهَابٌ ومـا كَـان الفَتَـى بمُغَلَّـبِ

فيـا ابـنَ الـذي حَـازَ الفَتَاكَـةَ قَبْلَـهُ　　أَلَـيْسَ نَجِيْـبُ القَـوْمِ يَـأْتي بِمُنْجِـبِ

فَـدَعْ عَنْـكَ أَظْغُنَـاً تَوَلَّـتْ نُحُوسُـهَا　　ولا تَبِعْتَهَـا بِالمَقَـالِ المُخَيَّـبِ

فَمَـنْ شِـئْتَ تَبْكِيْـه بَكَيْنَـا مُصَـابَهُ　　مُصَـابَ الجَـوادِ التَّغْلِبِـيُّ وَجُنْـدُبِ

أُولئِـكَ أَقْـوَامٌ دَهانــاَ مُصَـابُهُم وَأَعْقَبَنَــا الخُسْرَانُ في كُـلِّ مَعْقَـبِ

وَقَـدْ تَـمَّ شَـعْثُ القَـوْمِ مِنَّـا وَمِـنْكُمُ بِشَـأْنِ امْـرِيءٍ كالبَـارِقِ المُتَلَهِّـبِ

فَـدَعْ وائـلاً، والصُّـلْحَ يَـاْبِنَ نُـوَيْرَةَ وَأَذِّنْ بِصُـلْحِ الـوائليِّينَ وَارْغَـبِ

فَـنِعْمَ الفَتَـى في كُـلِّ أَحْيَـاءِ رَبِيْعَـةٍ وَأَنْـتَ لِـزَارُ الضَّـيْغَمِ المُتَغَلِّـبِ

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك اليوم: [الكامل]

قَضَـيْتُ بَعْـضَ مَغَـارِمِ المَـدْيُونِ وَحَمِيْـتَ جَـارَةَ بَيْتَنَـا وَظَعِينِـي

وَشَـهِدْتُ ذَا قَـارَ بِـأَكْرَمِ مَشْـهَدٍ مِـنْ آلِ شَـيْبَانَ، وأسْـدَ عَـرِيْنِ

بِفَـوَارِسَ الحَيَّـيْنِ بَكْـرٌ، وتغْلِـبٌ أَكْـرَمْ بِهِـم في مُلْتَقَـى الحَيَّيْنِ

وقَفْـوتُ للـبُرَاقِ يَـوْمَ عَـمَارَةَ والبِـيْضُ تَخْطُـرُ في مِـلاءٍ، وتـرَيْنِ

وَحَمِيْـتُ حَمِيَتَـهُ وَقُمْـتُ مَقَامَـهُ وَنَصَـبْتُ للأعـلاجِ صُـلْبَ جَبِيْنِـي

وَصَـعَقْتُ هَامَـةَ خَطْـرَشٍ بِمُهَنَّـدٍ وَصَرَعْـتُ شَـاهَ وَحبـبها تَردِينِـي

وتَعَرَّفَتنِـي جُنْـدُ كِسْرَى أَنَّنِـي أَغْشَـى العَجَـاجَ، وأركَـبُ الصَّـفَّيْنِ

وأَخُـوضُ غَمْرَتَهَـا بِأَسْـمَرَ زَاغِـبٍ وَأُنَـازِلُ الأَعْـلاجَ كـالمرعونِ

حُطْنَـا وَقَارَعْنَـا كَتَائِـبَ جَمَّـةٍ كالنَّمْـلِ أو كالعَـارِضِ المرثُـونِ

وَتَصَـبَّرَتْ شَـيْبَانُ حَتَّـى أَلبَسَـتْ يَـومَ المكـارِمِ مُعلَـمَ الطَّـرَفِينِ

يـا يَـومَ ذِي قَـارَ سُـقِيْتَ مِـنَ الحَيَـا غَيْثَـاً تُغَسِّـلُ مِـنْ دَمِ الحَيَّـيْنِ

تُجَـلِّي بَنِـي شَـيْبَانُ شَرَفَ العُـلَى وَتَرْتَعِـي في مَنْـزِلِ القَمَـرَيْنِ

عَمْـرِي لقـد عَطَفَـتْ علينـا تَغْلِـبٌ وَشِـهَابُها اللحّـاحُ ذُو الـرُّمْحَيْنِ

سَـدَّ الثنايـا حِـيْنَ أُبلِـسَ عَزْمُنـا وَأَرْتِـجَ مُرْتَعِنَـا لِـدَاهِيَتَيْنِ

فانجالـت الظَّلْمَـاءُ يـا ابـنَ نُـويرةَ وَتَجَلَّـتْ الغَمَّـاءُ عَـن ظَفَـرَيْنِ

وَظَلِيمٌ لا أَنْسَى هُنَاكَ مُقَامَهُ وَجَذَابَةٌ وَمَعْمَرٌ مِنْ قَرِيْنِ

تِلْكَ الفَوَارِسُ ليسَ يُجْحَدُ فَضْلُهُمْ إلاّ ذَمِيْمُ العِرْضِ، والأَبَوَيْنِ

هُمُ وَازَرُونَا بالنَّجَاءِ وَبَرْقِهَا وَصَلُوا لَهِيْبَ النَّهَارِ في الصَدَفَيْنِ

بِجَحَافِلَ وَصَوَاهِلَ وَعَوَاسِلَ وتَهَمْهُمٍ، وتغَمْغُمٍ، وأَنِيْنَ

وَتَرَغُّمٍ، وتكُرٌّ، وتقَدُّمٍ وَتَبَسُّمٍ لِبُرُوقِ ذَاكَ الحَيَّنِ

إِنْ أَنْسَ لا أُنْسَى شِهَابٌ وَعَطْفُهُ شُلَّتْ مَتَى أَنْسَاهُ كَفُّ يَمِينِي

وَبُلِيْتُ بالرُّعْبِ القَبِيحِ لدى الوَغَا وَسُلِبْتُ عَزمي يَوْمَ حُمّ قَطِينِي

فَهُو المُقَدَّمُ، والمُشَرِّقُ وائِلاً وَأَبُوهُ ذو العَلْيَاءِ، والحَسَبَيْنِ

قَوْمٌ هُمُ قَومي وَفَخْرِي فَخْرُهُم وَمُعَارُهم عَارِي وَسُوْءُ ظُنُونِي

إِنَّ الأَرَاقِمَ سَادَةٌ في وَائِلٍ بِشَهَادَتِي وَشَهَادَةَ الثَّقَلَيْنِ

قُلْ لي لِسَيِّدِ وَائِلٍ وَزَعِيْمُهَا مَنْ تَبْكِ إِبْلُكِ رُزاءة بِحَنِينِ

شَلَّتْ يَدا جَسَّاسٌ مَاتَ بِعَارِهِ فَلا جَلَّ رَاحلة أَثَار قُرونِي

قد كَان يَعْزِمُ لِلْبَسُوسِ وَجَارَهَا أَلِفَا هِجَاءِ القَوْمِ مِنْ يَبْرِيْنِ

وَيَعِيْشُ ذَا قَوْمٍ هُنَالِكَ خِيْرَةً في عُقَلَةٍ مما حَوَاهُ قَطِينِي

بل كَان بالجَارِ المُسَلّم مُوَلَّهاً فَرأى القَطِيْعَةَ أَصْوَبَ الرَّأْيَيْنِ

وَأَغَارَ يَطْعَنُ سَيِّدَاً في نَاقَةٍ وَيَكُبُّهُ جَهْرَاً على العِرْنَيْنِ

قَدْ أَهْلَكَ الدَّهْرُ الغُوَاةَ بِفِعْلِهِم فَانْعَمْ شِهَابٌ وَقُرَّةُ العَيْنَيْنِ

وقالت الحُرقة ابنة النّعمان بن المنذر تمدح صفية وقومها:[الكامل]

المجدُ، والشَّرفُ الجسيمُ الأرفعُ لِصَفِيَّةَ في قومها يَتَوَقَّعُ

ذَاتَ الحِجَابِ لِغَيْرِ يَوْمِ كَريهةٍ ولدى الهِيَاجِ يُحَلُّ عَنْهَا البُرْقُعُ

نَطْقَـــاءُ لا لِوِصَـــالِ خِـــلّ نطقُـــها لا بَـــلْ فَصَـــاحَتها العَـــوالِي تُسْـــمَعُ

لا أَنْـــسَ لَيْلَـــةً إذا نَزَلْـــتُ بِسِـــوْحِها والقَلْـــبُ يَخْفُـــقُ، والنَّـــوَاظِرُ تَـــدْمَعُ

والـــنَّفْسُ في غَمَـــرَاتِ حَـــرْبٍ فَـــادِحٍ وَلَهَـــا الفُـــؤَّادُ كَئِيبَـــةٌ أُتفجَّـــعُ

مَطْـــرُوْدَةٌ مِـــنْ بَعْـــدِ قَتْـــلِ أُبُـــوَّتي مـــا إنْ أُجَـــارُ ولم لا يَسَـــعْنِ المَضْـــجَعُ

وَحُطَّـــتَ رَحْـــلَ مَطيّـــةٍ قَـــدْ أَعْـــوَرَتْ لم تَلْـــقَ جَـــاراً فهـــيَ رَجْـــواً هَيْجَـــعُ

وَيَئِسْـــتُ مـــن جَـــارٍ يُجِـــيْرُ تَكَرُّمَـــاً وَحَلَلْـــتُ مـــن عَـــيْشي هُنَـــاكَ لأَنْسَـــعُ

وأتَـــاني الرَّاعـــي بِحَـــفٍ قِنَاعِهَـــا فَـــأُجِرْتُ وَانْـــدَمَلَتْ هُنَـــاكَ الأَضْـــلُعُ

وَتَـــوَارَدُوا حَـــوْضَ المنيّـــةِ دُونَ أَنْ تُسْـــبى خُفَـــيْرَةُ أُخْـــتِهِم وَاســـتجمعوا

وَأَلَـــحَّ كِسْرى بـــالجُنودِ عَلَـــيهُم وطُمَـــيحٌ يُـــرْدَفُ بـــالكُبُولِ وَيَـــدْفَعُ

كَـــمْ زَارَهُـــم مِـــنْ غَـــارةٍ مَلْمُومَـــةٍ بالقَـــبِّ تَعْطِـــفُ، والأَسِـــنَّةُ تَلَمـــعُ

وَهُـــمُ عليهـــا وَاردون بِعَـــزْمِهِم والـــنَّصْرُ تَحْـــتَ لِـــوَائهم يَتَزَعْـــزَعُ

حتـــى غَـــدَا الفُـــرْسُ في أجنـــادِهِ والقَـــومَ جَرْحَـــى، والمـــذاكي ضُـــلَّعُ

فَهُنَـــاكَ أُرْجِفَـــتِ الـــبِلادُ، ومـــن بهـــا الأحيَـــاءُ مَـــنْ يَمَـــنٍ، ومـــن يَتربَّـــعُ

وَتُجِيْـــزُ وافتنـــتَ صَـــفِيَّةٌ مَفْخَـــراً وَدَعَـــتْ قَبَائِـــلَ شَرُّهَـــا لا يُقْلَـــعُ

أجـــامهم فيهـــا الصَّـــوَارِمُ، والقَنَـــا والسَّـــابِرِيَّةُ، والوَشِـــيْجُ الشُّرَّعُ

فَرَأَيْـــتُ عِنْـــدَ الخَيْـــلِ فِيْهَـــا شَـــعْثَماً مِثْـــلَ الحِـــمَارِ إلى المـــوَارِدَ يَقْلَـــعُ

وَجَدَابَـــةُ كَالفَحْـــلِ يَضْرُبُ أَنْيقـــاً وَشـــهاً يُضْرِبُ بالحُسَـــامِ وَيُوْجِـــعُ

عـــالي الهَـــدِيْرِ أَخُـــو شَقَاشِـــقَ أَرْبَـــعِ وَخَفَارُهَـــا في المـــأزقين تَدَعْـــدَعُ

وَظَلِـــيْمٌ كَاللَيْـــثِ الهَصُـــورِ زَئِـــيْرُهُ يَـــدَعُ الكِـــلابِ ضُراطُهـــا لا يُقْلَـــعُ

قال رواة هذه السيرة إن الملك ندم على سوء فعله وقبيح عمله بهم ندماً شديداً،

وأسف على قتل بني ماء السماء، وكان بهم يطوّل يدع على بلاد العرب، قال: ثم إنه سأل هل بقى منهم أحد فأخبر أنه بقي منهم رجل في بلاد مراد في مدينة براقش يقال له المنذر بن الرَّيان، وكان في معرّس لخم الذي كانَ منه ينقله أسلافه.

وقد كان يزورهم إلى مدينتهم فوجّه إليه كسرى، وأرسل إليه يعتذره فيما مضى، وأنْ يرجَع في مقام النعمان بن المنذر وقال له إن كنت ترغب في الملك، والنَّعيم الذي كانوا فيه (أهلك) فالعجل أنا أَرْدُكَ على عوائدهم، ثم توجُهوا رسُلُ الملك بذلك بعد أن أَعدّوا الزّاد، والمبلّغ.

قال بشر بن مروان الأسديّ، وأن الحُرقة أقامت عند صفية على أحسن حال وإبلُها التي رفدها عمرُو بن ثعلبة تَغْدّو مِنْ عِندِها سارحةً، وتؤوبُ إليها رائحة وهي على البرّ، والرّفق، ثم إنها تذاكَرتَها ملوكُ بني جَفْنَة من بعد ذلك فامتدت إليها أعناقُهُم وطالت نفوسهم رغبة في تزويجها فركب قوم من مندب بني جفنة من ملوكهم إلى بني شيبان أن يَخْطبوها لأولادهم إذا لم يرغب إليها أحدُ الرجال الثلاثة، أما عمرو بن ثعلبة.

وأما شهاب بن النويرة، وأما أبو جدابة بن هاني، قال بعضهم أمّا سيّد الحيين فلا سبيل إليهما يتقدمهما أحد إن كان لها رغبةً فيهما، وأما أبو جدابة فكَلاّ أن ينال منها منالاً فزجر القائل رجلٌ يقال له جابر بن منصور وقال: والله ما في تغلب ولا في شيبان له نظير يقايسه في جميع خصاله في الكفاية، والنكاية فسكت المتكلّم وسار القوم حتّى نزلوا على شهاب بن نويرة فاستقبلهم بأحسن قبول، وأكرمهم بكرامة الملوك، ثم إنّهم أقبلوا عليه فشكرُوا له ولقومه حُسْنَ صنيعهم وعصَبيتهم وصبرهم على الأهوال التي ما صبر عليها أحدٌ غيرهم من سائر العرب، ثم قالوا يا شهاب إنَّ ابنة النعّمان قد نجت بكم مّما كانت تحاذر غير أنها أَمَست مستوحشة وحيدة غريبة ولابدّ لها من إنسان.

إمّا منكم فأنتم المقَدّمون يا هؤلاء الثلاثة يرضى أحدكم لها فأيكم رغب إليها فزّوجوه وإن لم يكن لكم رغبة زوّجناها لبعض أولادنا ممّن ترضون لها، قال فلما سمع شهاب قولهم أمر بإحضار أبي جدابة وعرض عليه مقالتهم فاتفقا على رأي وقالا

الحديث راجع إلى عمرو بن ثعلبة، وأمّا نحن يا ذا الرّجلين فلا نتزوج ولا نُزوِّج ولا لنا في ذلك نصيب بل الرأي، والحظ لفارس الحيّ من شيبان عمرو بن ثعلبة ولأخته صفية فشأنكم وشأن الطريق إليها فقد كفيناكم أنفسنا فلا لنا ولا علينا بل إنْ صدق ظنُّنا في سيد بني شيبان أنه لا يزوج ولا يتزوج بل ينتظر فيها رأى ابن عمّها المنذر بن الرّيان على قُرْبه وشط مزاره ولم يكن الرجلان سمعا ذلك من عمرو بن ثعلبة فقالوا لهما قد سمعتما ذلك من عمرو فنكتفي به جَواباً أم ظنٌّ منكما، والظنُّ يخطيء ويصيب، قالا بل هو ظنٌّ، وتقديرٌ وسوفَ تَعْرفون تقديرنا ولن تنالوا بذلك إذ لم يكن سماعاً فركب القوم وساروا إلى فارس الحيّ من شيبان فنزلوا بعمرو بن ثعلبة فأنزلهم منزل الملوك، وأكرمهم بكرامة الملوك، وأقاموا عنده حتى قضى من كرامتهم وطراً وخاطَبوه بمثل الخطابِ الأوّل الذي خاطبوا به شهاب بن النويرة ولم يُعْلموه بخطاب شهاب لهم عن عمرو بن ثعلبة.

قال: فَرد عليهم الجواب أن لا أتزوّج ولا أُزَوِّجَ وإنما الأمر إلى صفيّة وسأمُرُّ لكم إلى عندها غير أنّي أظنُّ ظنّاً أُعلِمُكُم به قالوا وما ذاك يا عمرو قال: إنها تدفع الأمر في ذلك إلى فارس الحيّ من تغلب قالوا سمَعتُه منها فنجتزي به جواباً أم ظنٌّ فالظنّ يُخطيء ويصيب قال بل هو ظنّ قالوا فأمر لنا إليها فقد بُعنا إليكم قال فوجَّه عمرو بن ثعلبة بعض إمائه إلى صفية فأعلمتها فردَّتْ إليه الجواب تقول: الرأي في ذلك متعلّق بفارسي الحيّ من تغلب، وأني أظنّ أن لا يتقدم على ابن عمّها المنذر بن الرّيان أحدٌ على بُعْد أرضه، وأنها مُصانة مكرّمة لوصوله وليس هو بمتخلّف عنها فأعلَموا ذلك ولا تُعْرِضوا بأسباب الخيانة، والخنا فليس فينا ولا تظنوا بنا إلاّ خيراً، فلما أخبرهم عمرو بجواب صفية لم يكن لهم بعد ذلك قول قال فودَّعوا عمرواً وشَدّوا على ركابهم وانصرفوا رائحين.

قال: فلما وصلوا إلى قومهم سألوهم ما بعدهم فأعلموهم الخبر عن آخره فعجب القوم من حُسْن أخلاقهم وعِظَمِ رعايتهم وإبعادهم الأدناس، والشُبه الردّيةَ عليهم أن لا يدخل عليهم شيءُ يعابوا به وعلِموا أنهم مِنْ أعزّ العرب مكاناً.

قال بشر بن مروان الأسديّ: إن وَفْدَ الملك كسرى وفدوا على المنذر بن الرّيان، وقد سبقت إليه الأنباء بجميع الأحوال، وأبلغوه سلام كِسرى ومعذرته ورسالته فلما سمعهم بكل بكاءاً شديداً على بني ماء السماء، ثم استرجع منه على بكائه فأقاموا عنده شهراً كاملاً حتى استراحوا، ثم جهزّهم بأحسن الجهاز من الكُسْوة النفيسة، والركائب، والمؤديّة، والزاد الكثير المبلغ، والمال الوافي، لأن المنذر بن الريان كان من كرماء الملوك، وأجوادها.

ثم قال لهم قد قَبِلتُ معذرته إذا لا يمكن إلاّ ذلك، وأنا من بعدكم فلا بدَّ من المسير لأجل بني ماء السماء حتى أملَهُم إلى مجّتهم قال فودعوا المنذر بن الريّان وانصرفوا رائحين بالمواهب السخية، والعطايا الجزيلة، واليد الطويلة، ثمَّ إن المنذر بن الريّان تأهّب للسّفر بعد ذلكَ، وأعدَّ الأزواد الكثيرة، والركائب النجيبة، وتوجّه إلى أرض الشام في قوة من قومه، وأقاربه، وسارَ المنذر بن الريان، وأنشأ يقول:[البسيط]

يا حُزْنَ قَلبي وَدَمْعُ العَيْنِ لم يَكُفِ	كُم تَهْمَلانِ على مَاضٍ مِنَ السَّلَفِ
فالرُّوْحُ بَاقٍ ولم يَغْنَ كَما ذَهبوا	والجسمُ أَمْرَضُ، والأَحْشَاءُ لم تُحَفِ
خَاب الرَّجَاءُ فَلَنْ أرجو، وقد هَلَكُوا	قَومٌ أَبَادَهُم دَهْرٌ من التَّلَفِ
قَومٌ بهم عَزّتِ الأَعْرَابُ مِنْ يَمَنٍ	وَأَسَّسُوا نائلاً كالوَجْلِ مِنْ اَطَفِ
يا رائدَ الموتِ كَمْ صَادَفْتَ عِنْدَهُم	من السّلاحِ وَقُبٌ سُبَّحٍ جُنُفِ
فلم نُخْفِكَ ولم نُخْشِيْكَ بَطْشَهُمُ	ولا رَجَوْتُ لهم شيئاً مِنْ التُّحَفِ
أنْعِم صَبَاحاً ولا حُيِّيتَ مِنْ بَلَدٍ	ماتُوا بها سَادَةَ الأَمْلاك مِنْ أَسَفِ

قال :إن المنذر بن الريّان سارَ من موضعه سيرا رفيقاً هو، ومن معه لئلا يقطعوا ركائبهم ولايضربها السفر حتى نزل بالحيرة وبها من الوحشة كأنها التي كانت فيه، ومن الخراب كالعمران في أيام بني ماء السماء فأسِف من ذلك أسفاً شديداً ، وانشأ يقول :[الكامل]

أبكِي، وأبكِي مُشفِقاً لِبُكائِي	في كُلِّ صُبْحٍ بَعْدَ كُلِّ مَسَاءِ
وأُعِيرُ دَمْعاً فَائِضاً لاناصِباً	مُتَخَلِّصاً مِنْ دَاخِلِ الأَحْشَاءِ
لَهْفِي على قَوْمِ المُلُوكِ بَنِي أبي	زَيْنُ المُلُوكِ وَصَفْوَةُ النُّجَبَاءِ
كانوا إمَاماً في الخُطُوبِ وَعِصْمَةً	في حَادَثِ المكروهِ، والنَّعْمَاءِ
لا عَاشَتْ الأَيَّامُ بَعْدَ فَنَائِهِم	وَتَقَضَّتْ الدُنيا بَعْدَ فَنَاءِ
وَمَضَى الزَّمَانُ، ومن بِهِ في جِدَّةٍ	وَقطيعةٍ مَبْتُوتَةٍ بِبِلاءِ
يا وَيْحَ نَفْسِي لَيْتَ جِسْمِي عَاجلاً	في مُلْحَدٍ مِنْ شوقةٍ بِلِقَاءِ
تَذْرِي عَلَيْهِ العَاصِفَاتُ وَليتني	لم يُقْضَ لي سَفَرٌ إلى البَيْدَاءِ
خَلِيَتْ قُصُورُهم وَبَاتَ قَطِينُهم	وَتَتَابَعوا في نِقْمَةٍ وَشَقَاءِ

قال رواة هذه السيرة، إن المنذر بن الريّان أقام بالحيرة يبكي قومه برهةً من زمانه، ثم وجّه إلى كسرى يسأله عن بني ماء السماء أن يأذن لرسوله في دفنهم بعد أن يُعلِموه بمكانهم فتقدمت رسله حتى وقفوا بباب الملك واستأذنوا الحاجب في الدخول بعد أن أعلموا الملك أنهم من قبل المنذر بن الريّان فسرّ بهم الملك سروراً كثيراً، وأسرع لهم بالإذن فتقدما وسلّموا عليه فلما مُثلوا بين يديه أذن لهم بالجلوس فجلسوا وسألهم عن المنذر بن الريّان فأخبروه أنه بالحيرة يبكي على قومه قال الملك، ومن حوله غيرُ ملوم وإنّي لقسيمه في رزئه.

ولقد أخطأت على نفسي، وأسأت في رأي، ثم أعلموه برسالته فأنعم لهم، وأمر بتقديمهم فقدمُوا إلى دار الضيافة فاكرموا في أنفسهم، وأكرمت دوابّهم، ثم إن الملك أمر من يدلّهم عليتوابيت بني ماء السماء، وأمر لهم بنجائِب من أجل الإبل وحملت التوابيت عليها وانصرفت بها رسل المنذر بن الريان حتى قدموا عليه فدفن ملوك قومه مع قومهم ويكى عليهم هو وقومه الذين وصل بهم ولما قضى بذلك ما قضى ركب بمن معه حتى نزل بسيّد العشيرة من قومه شهاب بن النويرة التّغلبيّ فأكرم منزله، وأقام عنده شهراً

كاملاً على أفضل الكرامة، وأحسن إليه وركب معه بأبي جدابة وفرسان من قومه حتى نزلوا بفارس الحيّ من شيبان عمرو بن ثعلبة فاستقبلهم بأحسن القبول وسرَّ بقدومهم سروراً شديداً، وأكرمهم بكرامةِ الملوك، وأقاموا عنده شهراً كاملاً كالذي أقاموا عند شهاب فلمّا استقرَّ بهم المجلس ذات يوم، وقد حضروا سادات بني شيبان أقبل عليهم المنذر بن الريّان.

وكان وسيماً جسيماً فصيحاً حاذقاً شجاعاً قال: يا معشر تغلب وشيبان فقد فُقْتُم بصبركم العربان، وأحسنتم إلى لخمٍ وغسّان، فنُعِّمَت بكم الأوطان، وعزَّت بكم الجيران، واعلموا أنكم قد حطتم الجوار، وأحسنتم إلى الجار وهذه ابنة النعمان عندكم في أعزّ مكان وغِبطةٍ، وأمان، وأنسَها بالزوج الكريم خير لها من الوحشة فإن طَلَبها مِنكم طالب أو رغب عليها راغب فأنتم لحافها الدّقّ ومنكم مسرّها الخفيّ.

وكان منكم الزوج، والوليّ فلا تريبّوا منها لشأن هلاك أبيها فتلك أمور قُدّت ونحوسٌ انقضت فأجيبوني بجواب واجد فأنا أناشدكم الله، والجوار ألا تكتموني شيئاً ولا أخفيتم عنيّ سرّاً.

قال فأطرق القوم رؤوسهم عنه ساعة مليّة، والباقون لهم ينتظرون الجواب فلما أطالوا الصّموت قال لهم أرفعوا رؤسكم واجيبوني فكل جوابكم مقبول عندي فأنتم العماد، والسّادة الأجواد فرفع عمروٌ رأسُه إلى شهاب وقال الجواب بلسانك يا شهاب فتكلَّم فقد أجَزْنا لِحكمك ورضينا قولك قال فتكلم شهاب وقال: والله ماَ حميناها ولا أجرناها لنفوسنا ولا لتصبح من عرائسنا بل فعلنا ذلك حين ضاقت بها الأماكن، والآن وفَيْتَ في مغيبك ما يسؤك، وأدركتَ في حضورك ما يَسرُّك وهذه ابنةُ عمّك محفوظةٌ في العِزّ، والكرم ملفوفة من بلية الندمِ مصونة من العاهات، والتُهَم فامضِ رأيكَ فيها ونحن لك عونٌ على ما تأته فاعلم ذلك قال فشكر لهم شكراً مستقبلاً غير الأول وجواهم خيراً، ثم أنهمّ ظلّوا أخرَ يومهم ذلك على أحسن حال فلماّ كان عند طلوع الشمس أقبل شهاب على أبي جدابة.

وقال يا أبا جدابة اعلم أن عمرو بن ثعلبة قد رَفَدَ الحَرقَة من خيار إبله ألف ناقة ولم يبقِ عنده إلاّ أرْذالُها، والآن قد نزل بنا هذا الملك المنذر بن الرّيان، وقد بلغَنا من مكارمه ما بلغَنا، وأنا أريد أنْ أرفده ألف ناقة قال أبو جدابة افعل ما دَعَتَك إليه نفسُكَ من فعل الخير فنعم المذخور فعند ذلك نادى شهاب عمرو بن ثعلبة فأشركه في رأيه فشكر له عمروٌ شكراً كثيراً وركب شهاب بن نويرة وعمرو بن ثعلبة، والمنذر بن الرّيان، ومن معهم فسارَ بهم شهاب حتى نزل بهم في أوساط إبله وحكّم عمرو كما صنع عمروٌ أوّلاً فميّز شهاب منها ألف ناقة للمنذر بن الرّيان برُعاتها فعظم الملك شكر شهاب بن النويرة وعمرو بن ثعلبة .

ثم إنّهم زوجّوا المنذر بن الرّيان بابنة عمةّ الحرقة ابنة عمه النّعمان بن المنذر، وأمهرها الشيخ ثعلبة بن عمرو الشيباني من ماله، وتولىّ صلاح شأنها شهاب بن نويره وحلاّها بأحسن الحُلّي وزينها بأحسنِ الزينة وكساها نفيسَ الكسوة وطيبَّها بأكرم الطيّب ودخل عليها الملك المنذر بن الرّيان في منزل شهاب وزُفت إليه بزفاف حسن فأقاموا على ذلك السرور زماناً، ثم إن الملك المنذر بن الرّيان أحضر عمرواً وشهاباً، وأبا جدابة فحضروا إليها .

ثم إنه استشارهم في مواصلة الملك كسرى ويُحْيى مُلْكَ قومه ويعمر مدينتهم الحيرة فقالوا للشهاب انظر للرجل ما ترى من حسن رأي فتكلم شهاب وقال أيها الملك أما بنو ماء السماء فقد قتلَنْا بهم أولاد الملك تسعة ملوك عن يد واحدة.

وأمّا بعد أن تصَّرمت هذهِ الفتن ومُعاقبة كسرى بعواقب الظّلم فلم نخش منه شيئاً فَأَحْيِ ملك قومك واعمر مدينَتهم فعند ذلك ودعهم المنذر بن الرّيان وركب في القوم الذين سارَ بهم من اليمن من قرابته إلى كسرى فلما دنا من مدينة كسرى قدم إليه رسولاً يعلمه بقدومه، قال وإن الملك كسرى أمر بصوائحه في المدينة أن تأهبوا، وأركبوا بركوب الملك، وأمر قوّاده، ووزراءه بالركوب في الزيّ الحسن الذي ما تزّيا به أحد من الملوك من قبله، وتتابعت جنوده من بعده كالجراد المنتشر أو كالسّحاب المتراكب حتى

واجه المنذُر بن الرّيان ولم يكن رآه قبل ذلك ولم يكن في بني ماءِ السماء أصبح ولا أفصح ولا أسمح ولا أرجح منه فاستقبله بأحسن القبول، وأنصفَهُ بالسلام خاصّة غير أصحابه وقدّمه إلى دار مملكته فأكرمه، وأتحفه وكساه، وأصحابه من اللباس الذي بعّده لنفسه، وأعطاه من الأموال الجزيلة أكثر ما يكون، ثم ولاه الحيرة وردّه على مقام عمّه النعمان بن المنذر وانصرف رائحاً إلى بلده الحيرة فعمرهّا ونزل في قصر النعمان بن المنذر، ثم سار في جماعة من قومه إلى عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة فأخبرهم بالخبر، والحال الذي هو عليه فرضيا له بذلك.

ثم قال يا أبا العشيرة إني راغب في الرحلة بالحرقة إلى مدينة أبيها، والملك الذي اتصلت إليه صنيعة من صَنائعكم فهل تأذنون لي ولها بالرّحلةِ قالوا أيها الملك لا خلاف في هذا قال لهم فأنا أسألكم بالله لا تقطعون زيارتي في كل حين أنتم وعشيرتكم.

وقد أمْرت بعمارة قصور بني ماء السماء لكم فشكروا له ذلك، ثم إن الرجلين أسرجا خيولهما وركبا معه في ثمانين ألف فارس بالآلة التي كانوا فيها أيام الحروب ودخلوا به وبعروسه إلى الحيرة فخرج جنود الملك كسرى، والتقوا الملك المنذر بن الرّيان كي يسيروا معه فلم يجدوا إليه سبيلاً لأنهم رأوا خيولاً غير خيولهم وسلاحاً غير سلاحهم فهالهم ذلك لما رأوا الملك، وتقدم عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة وقومهم حتى أدخلوا المنذر بن الرّيان داره.

وكان أراد تقديمهم فلزم شهاب على يد الملك المنذر بن الرّيان وقال له ليس هذا أوان ذلك حتى تُمكن في ملكك، وتستقيم في سلطانك قال فأذن لهم المنذر بن الرّيان بالرواح، ثم إنَّ المنذر بن الرّيان استقام في ملكه وقوى سلطانه واتسّعت أحواله بالحيرة وحَسُنَتْ ولايته بقبائله وبالعرب حيثُ كانت، ورفد وفودهم، وأحسن إليهم، ولم يزل كذلك حتىّ توسم موسم عكاظ هو وشهاب بن نويرة، وأبو جدابة وعمرو بن ثعلبة، وواجهو ا رسول الله (ﷺ) وبايعوه بعد بيعة النفر الأربعة فسرّ بذلك سروراً كثيراً، وأيقن بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم، قال صاحب الحديث فثوى شهاب بن نويره،

وابن عمّه أبو جدابة آخر عامها ذلك قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة.

وأما الملك المنذر بن الرّيان فإنه أدرك الإسلام وهاجر إلى رسول الله (ﷺ) وشهد بدراً وقتل يوم أُحد بين يدي رسول الله (ﷺ)، مع عمه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه).

تم الكتاب، والحمد لله رب العالمين

فهرس الأعلام والأماكن والألفاظ الحضارية والمصطلحات وأسماء الكتب...

فهرس القوافي

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

War between the Shiban With fractions Anu Shirwan



Bibliotheca Alexandrina
15035544

Novel

Bishr ibn Marwan al-Asadi

Investigation

Arif Ahmed Abdel Ghani



ISBN 978-9933-480-29-5

